شرح
المنظومة اللامية

نظمها :

شيخ الإسلام

أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية

د. عماد بن يونس السواعير العجرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

«الْقَصِيدَةُ اللَّامِيَّةُ فِي السُّنَّةِ»

نَظَمَهَا: شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو العَبَّاسِ، تَقِيُّ الدِّيْنِ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ الحَرَّانِيُّ الدِّمَشْقِيُّ،(اِبْنُ تَيْمِيَّةَ)(ت: ٧٢٨ هـ) ~ .

ضَبَطَ نَصَّهَا: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ، عَمْرُو بْنُ هَيْمَانَ بْنِ نَصْرِ الدِّينِ الْمِصْرِيُّ السَّلَفِيُّ.

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

١. يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي *** رُزِقَ الْهُدَىٰ مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

٢. اِسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ *** لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

٣. حُبُّ (الصَّحَابَةِ) كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ *** وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ

٤. وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلٌ *** لٰكِنَّمَا (الصِّدِّيقُ) مِنْهُمْ أَفْضَلُ

٥. وَأَقُولُ فِي (الْقُرْآنِ) مَا جَاءَتْ بِهِ *** آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ

٦. وَأَقُولُ قَالَ اللهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - *** وَالْمُصْطَفَىٰ الْهَادِي، وَلَا (أَتَأَوَّلُ)

٧. وَجَمِيعُ (آيَاتِ الصِّفَاتِ) أُمِرُّهَا *** حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

٨. وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَىٰ نُقَّالِهَا *** وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

٩. قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرَانَ وَرَاءَهُ *** وَإِذَا اِسْتَدَلَّ يَقُولُ: قَالَ (الأَخْطَلُ)

١٠. وَالْمُؤْمِنُونَ (يَرَوْنَ) حَقًّا رَبَّهُمْ *** وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ (يَنْزِلُ)

١١. وَأُقِرُّ بِـ(الْمِيزَانِ) وَ(الْحَوْضِ) الَّذِي *** أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ

١٢. وَكَذَا (الصِّرَاطُ) يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ *** فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ، وَآخَرُ مُهْمَلُ

١٣. وَ(النَّارُ) يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ، *** وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَىٰ (الْجِنَانِ) سَيَدْخُلُ

١٤. وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي (قَبْرِهِ) *** عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

١٥. هَـٰذَا اِعْتِقَادُ (الشَّافِعِيِّ)، و(مَالِكٍ)، *** وَ(أَبِي حَنِيفَةَ)؛ ثُمَّ (أَحْمَدَ) يُنْقَلُ

١٦. فَإِنِ اِتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ، *** وَإِنِ اِبْتَدَعْتَ؛ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

تمت (١)

(بِحَمْدِ اللهِ رَبِّنَا)

---

(١) مَصْدَرُ الْقَصِيدَةِ: (اللَّآلِئُ الْبَهِيَّةُ؛ شَرْحُ لَامِيَّةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ) صَنَعَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمِرْدَاوِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: بعد ١٢٣٦هـ) ط. دار ابن حزم – بيروت، (جِلَاءُ الْعَيْنَيْنِ؛ فِي مُحَاكَمَةِ الْأَحْمَدَيْنِ) صَنَعَهُ الإِمَامُ عَلَّامَةُ (بَغْدَادَ) أَبُو البَرَكَاتِ، خَيْرُ الدِّينِ، نُعْمَانُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْآلُوسِيُّ (ت: ١٣١٧هـ) ص (٧٣)، وغَيْرُهما.

* وَالْقَصِيدَةُ عَلَىٰ بَحْرِ الكَامِلِ.

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

إنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار، أمَّا بعد:

فإنَّ من أعظم الأمور التي تُفنى فيها الأعمار، وتُضرب لها أكباد الإبل، وتذهب فيها الأوقات طَلب العلم. فإنَّ العلم منزلته عند الله-عز وجل- عظيمة، كفاه شرفًا أنَّ الله-سبحانه وتعالى- يرفع صاحبه في الدنيا قبل الآخرة؛ فالله جل في علاه قال: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[المجادلة:١١].

۞ تعريف العلم الذي به يرتفع صاحبه في الدنيا قبل الآخرة:

عُرِّف العلم بتعريفات من أحسنها: أنَّ العلم هو معرفة الهدى بدليله المورث الخشية؛ ومعرفة الهدى وحدها ليست علمًا؛ فالشيطان أو العامي قد يعرف من الحلال والحرام من أحكام الشرع ويَعرف الهدى؛ فإن عِلَم الهدى بالدليل تقدم خطوة للأمام، لأنَّه صار يعرف الهُدى ويَعرف أدلة الهدى؛ ويعرف أحكام الحلال والحرام، ويَعرف أصول عقيدته بالأدلة من الكتاب والسُّنة أو النَّقل عن سلف الأمة.

وهذا إلى الآن لا يُعد علمًا، فالشيطان كما ذكرنا يَعرف الهدى ويَعرف أدلته. وكثير من الناس ممن خالطنا وجالسنا، وممن تعرفون يَجلس يُناقشك بأحكام الحلال والحرام ويَذكر لك الأدلة، بل لا أبعد إن قلت: قد يُفصّل لك في الأدلة، ولكن وقت التطبيق تجده صُفر اليدين، فمعرفة الهدى بدليله وحدها ليست علمًا؛ لأنَّ العلم هو معرفة الهُدى بدليله المُورث الخشية، فإنَّ العلم-أي علمٍ كان كبيرًا أو صغيرًا، آيةً أو حديثًا؛ نصًّا أو نقلًا- إن لم يورث صاحبه خشية وعملًا وخوفًا من الله ﷻ فإنه لا يُعد بذلك علمًا في ميزان الكتاب والسُّنة؛ بل هو حُجّة على صاحبه.

واعلم يا طالب العلم أنَّ شأنه شأن غيره من الطاعات والعبادات: مفتقرٌ إلى النية. لذا لا بد لطالب العلم من إخلاص النية لوجه الله. والنية كما يقول أهل العلم: شَرُود تحتاج إلى جهاد ومجاهدة؛ لذا يحتاج المؤمن دائمًا إلى مراجعة نيته. فطالب العلمٍ إذ أخلص النية لله يرفعه في الدنيا والآخرة، وينال مرضاته، ويفوز بالجنات.

أما دليل صدق النية: فهو خشية الله؛ فقد تجد طالب العلم يحفظ من الكتاب والسُّنة ولكنه إذا حضر إلى الصلاة يكون آخر من يحضرها، وآخر من يفعل النوافل والمُستحبات، وآخر من يُقبل على طاعة الله، فهذا ليس من طلبة العلم بحق، ولعل علمه كالعلم الذي لدى بعض الكفار ممن لم يورثه طاعة لله، ولا الخشية منه. فالله الله في النية حتى لا تكون هذه الكلمات حُججًا علينا يوم أن نلقى الله ﷻ، فالكل صائر إلى الله، والكل سيقف بين يديه ﷻ، والكل سيحاسب وستوزن الحسنات والسيئات، وكما قال الله ﷻ: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾[القيامة:١٤-١٥].

واعلم يا طالب العلم بأنَّ شرف العلم من شرف المعلوم كما يقولون؛ فقيمة العلم ترتفع بقيمة المعلومات التي يتناولها هذا العلم، فإن كان العلم متعلقًا بالله ﷻ فهذا من أشرف العلوم على الإطلاق، فمثلًا علم العقيدة وهو علم مُتعلّق بالله ﷻ، بأسمائه وصفاته، متعلق بأصول الدين؛ لذا كان هذا العلم من أشرف العلوم وأعظمها، وهذا ليس ملحةً أو نافلةً من القول يختص بها طلبة العلم أو الخواص من طلبة العلم، بل هذا أمر يلزم العامي ويلزم العالم، ويلزم كل مسلم؛ لأنَّ هذه المسائل-أي: مسائل الاعتقاد المتعلقة بالله ﷻ - هي التي تنفعك في الدنيا والفوز بالآخرة وستحاسب عليها يوم القيامة.

۞ **وفي هذه الورقات حاولنا** قراءة ومدارسة منظومة لطيفة موجزة مجملة في أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة، وهي: **لامية شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني**-رحمه الله تعالى- فالله نسأل أن يتقبلها منا.

نسبة اللامية لشيخ الإسلام

وقع الخلاف في صحة نسبة هذه اللامية لشيخ الإسلام على ثلاثة أقوال:

❁ **القول الأول**: أنَّها لشيخ الإسلام؛ وهذا قول عامة أهل العلم ممن جاء بعد شيخ الإسلام، ولهم على ذلك أدلة كثيرة منها: أنَّ بعض أبيات هذه المنظومة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى[٨] ، وأنَّ اسم شيخ الإسلام ورد مكتوبًا على صفحات بعض نُسخ مخطوطات هذه المنظومة.

❁ **القول الثاني**: أنَّ هذه المنظومة ليست لشيخ الإسلام، وإنما لقائلٍ مجهول لا يُعرف؛ وهو قول عدد من أهل العلم الكبار، أمثال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله تعالى-، واستدل القائلون بهذا القول بأنَّ كبار من ترجموا لشيخ الإسلام من تلاميذه كابن رجب، وابن القيم، وابن عبدالهادي، وغيرهم من تلاميذ شيخ الإسلام، وممن جاء بعده، وممن اعتنوا بذكر مؤلفات شيخ الإسلام لم يذكروا هذه المنظومة، ولم ينسبوها لشيخ الإسلام. كذلك استدلوا بأنَّ شيخ الإسلام أورد أبيات هذه المنظومة في مجموع الفتاوى وصَدَّرها بقوله: وأنشد القائل؛ ثم أتى ببعض الأبيات[٨]، فقالوا: لو كانت المنظومة له لقال: قلت، أو أنشدت.

وقد أُجيب على أدلة القائلين بعدم ثبوت نسبتها لشيخ الإسلام بإجابات:

---

(٨) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٧).

٨) المصدر السابق.

منها: أن الذين صنَّفوا في مؤلفات شيخ الإسلام وترجموا له اقتصروا على ذِكر مؤلفات شيخ الإسلام الكبيرة والمتوسطة، أمَّا الرسائل الصغيرة والمنظومات القصيرة مثل هذه المنظومة التي تقع في ستة عشر بيتًا، فلم يَذْكروها.

ومنها: إنَّ إيراد شيخ الإسلام لبعض الأبيات بلا نسبتها لنفسه، أمرٌ واقع عند عددٍ كبير من المؤلفين؛ ذلك أنَّهم يذكرون أبيات ومنظومات في كُتُبهم، ولا ينسبونها لأنفسهم، فيقولون: وأنشد القائل، أو ويُنشد، أو وقال. وهي لهم. وهذا واقع عند شيخ الإسلام وعند غيره، وأشهر من جرى على هذه الطريقة ابن القيم، فابن القيم في كُتُبه كثيرًا ما ينشد أبيات دون نسبتها لنفسه، وغالبًا ما تكون الأبيات من نُظمِه هو.

۞ **القول الثالث**: التوقف؛ وهو عدم الجزم بصحة نسبتها أو نفي ذلك؛ أي قد تكون لشيخ الإسلام، وقد لا تكون لشيخ الإسلام، وعلى أية حال سواءً أكانت هذه المنظومة لشيخ الإسلام أم لا، فإنَّ هذه المنظومة المباركة كَتَب الله لها القَبول، وسارت بها الركبان، وحفظها الناس، ودأب العلماء على شرحها قديمًا وحديثًا؛ لتضمنها أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة مما لا يسع أي مسلم جهله، إضافة إلى سهولة نظمها، وعذوبته ألفاظها، وقلة عدد أبياتها.

ترجمة شيخ الإسلام

أمَّا عن ترجمة شيخ الإسلام، فقد تجاوزت الحديث عنها ؛ لأنَّ المَعرفة في العربية لا يُعرَّف، فهو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، المتوفَّى بقلعة دمشق سنة سبع وعشرين وثمانمئة للهجرة، وقد أُلفت في ترجمته مؤلفات مستقلة بذاتها تحدثت عنه، فمن أراد الوقوف على ترجمة ذلك الإمام الكبير فليرجع إليها.

متن المنظومة وشرحها

❁ قال الناظم-رحمه الله-:

١.	يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي	***	رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

❁ الشرح:

عادة أهل النُّظم استخدام أسلوب النداء في مطالع منظوماتهم، فالناظم-رحمه الله تعالى- هنا يُنادي نداء التماسٍ، فيقول: (يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي...) أي: يا طالب العلم إن كنت تسأل عن عقيدتي وطريقتي التي أسير عليها فسيرزقك الله الهدى؛ وسأجيبك عن سؤالك، وستهُدى بإذن الله تعالى إلى بيان عقيدتي التي هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة.

قوله: (وَعَقِيدَتِي) العَقيدةُ في الاصطِلاحِ: هي جَزْمُ القَلبِ وعَقْدُه على توحيدِ اللهِ تعالى وما وَجَب الإيمانُ به دونَ شكٍّ.

وقوله: (رُزِقَ الهُدَى): أي المسلم إذا أخلص النية لله ﷻ ، وطلب الهدى بصدقٍ ويقينٍ، واتبع الطريق الصحيح المُوصل للهدى فإنَّ الله ﷻ سيهديه ولا محالة، ولا يمكن لشخص مخلص النية، ومُتبع للنبي ﷺ يكرر قول الله ﷻ في سورة الفاتحة في الصلوات الخمس: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦]، ولا يُهدى إلى الصراط المستقيم، إلا إذا كان ثَمَّة خلل إمَّا في نيته، وإمَّا في طريقة طلبه للهدى، فالذي يطلب الهدى بحق

وإخلاص لا شك أنَّ الله سبحانه وتعالى سيهديه، وكان النبي ﷺ يَطْلُبها في دعائه، وفي استفتاحه للصلوات؛ كما رُوِي في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عائشة – حديث استفتاح صلاة القيام– قال: «اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ»[٨]؛ لذا يجب على كل مسلم على وجه الأرض، أن يبحث عن الهدى، ويسأل الله أن يهديه، وأن يثبته على الهدى.

❁ ثم قال الناظم –رحمه الله–:

٢.	اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ	***	لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

❁الشرح:

الناظم هنا في سياق بيان معتقده، والدفاع عن نفسه؛ لأنَّه رُمِي في زمانه بأنَّه أتى بشيء جديد، وخالف الحق؛ لذا قوله: (اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ) ليس من باب تزكية النفس المذمومة؛ لأنَّ ذلك في مَعرض بيان الحق، ومَعرض الدفاع عن النفس، وقد جوَّز لنا الشرع أن نذكر أشياء الأصل فيها المنع، فتزكية النفس مذمومة، إلا في مثل هذا الموضع ونحوه، وقد قال الله ﷻ: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ ﴾ [النساء:١٤٨] وشيخ الإسلام ظُلم واتُّهم ورُمِي بالبدعة.

وقوله (مُحَقِّق): هو الذي يختار الصواب من الأقوال التي أمامه، وشيخ الإسلام نَسَب نفسه لأهل التحقيق، وهو لا شك منهم ولا ريب؛ فالمُتبع لشيخ الإسلام،

٨)أخرجه مسلم (٧٧٠).

واختياراته العلمية العقيدية -ولا سيما الفقهية- يعلم علم اليقين أنَّه مُحَقِّق، ومن كبار المحققين.

قوله: (لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ) أي: العقيدة ودَين الله-عز وجل-، ونحن ندين الله بأنَّنا نثبت له نزولًا يليق بجلاله، ندين الله بأنَّنا نثبت استواءه على العرش، هذه عقيدة وعبادة ندين الله بها؛ لذا ينبغي على طالب العلم ألَّا يتبدل، ولا يتحول، ولا يتغير، وينبغي عليه أن يثبت على المعتقد الصحيح حتى يلقَى ربه.

والناظر اليوم يجد -إلا من رحم الله- بعض طلبة العالِم فضلًا عن العوام مع أول فتنةٍ تصيبهم ينقلبون، ويتبدلون، ويتحولون؛ فإذا عرضت له الشبهة يميل مع الريح حيث ما مالت، وشيخ الإسلام لما قال: (لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ) هنا يتحدَّث عن مسائل أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة، وهذه المسائل مما يقع تغير وتبديل فيها عند بعض طلبة العلم، وقد سمعنا أناسًا يطعنون في أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة في مسائل كانت عندهم من المسلمات؛ فالواجب على طالب العلم، من وصل إلى الهدى بدليل وآمن به واعتقده، وتيقن عنده بالبرهان أنَّ هذه هي عقيدة السلف التي نُقلت له وتلقَّتها الأُمة جيلًا عن جيل، وكابرًا عن كابر ينبغي عليه أن يثبت عليه، فلا يأتينه الشيطان فيطعن ويشكك بهذه العقيدة، فالشيطان يعرض للإنسان فيقول له مشككًا في عقيدته: ماذا لو أن عقيدة الأشاعرة هي الصواب؟! فيكون الجواب عليه حينها: نحن نعبُد الله اعتقادًا جازمًا منا بأنَّ عقيدة السلف هي العقيدة الصحيحة، هي التي أرادها الله ﷻ، وهي التي في الكتاب والسُّنة، وهي التي علمها محمد ﷺ لأصحابه.

❁ ثم قال الناظم-رحمه الله-:

٣.	حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ	***	وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

❁ الشرح:

يتحدث الناظم هنا عن مسألتين عقيدتين غاية في الأهمية:

❁ **المسألة الأولى: الصحابة.**

وهذه المسألة جعلها أهل السُّنة والجماعة من مسائل الاعتقاد؛ لأنَّها من المسائل التي وقع فيها خلاف بين أهل السُّنة وغيرهم من المخالفين، فمسألة الصحابة أدخلها أهل الاعتقاد في مؤلفاتهم، بل صدروا بها كلامهم؛ لأنها من المسائل التي أصبح فيها ولاءٌ وبراء بين أهل السُّنة والجماعة ومخالفيهم، فمسألة حُبّ الصحابة دين وعقيدة، ينبغي على المسلم أن يربي نفسه عليها، وأن يستحضرها بين حين وحين، فيتعلمها ويلقنها ذريته وأبناءه.

والحديث عن الصحابة ليس فقط مسائل سِير وتاريخ يُذكر ويُسرد ويُنسى. بل هذه عقائد، فشيخ الإسلام، وابن أبي داود، والطحاوي وغيرهم لما تكلَّموا عن مسألة حُب الصحابة كانوا يتكلمون عن مسائل اعتقاد، بل واقعنا الآن وما يعانيه المجتمع السُّني من اضطهادٍ وحربٍ شعواء يَشنُّها علينا الروافض، هي من متعلقات هذه المسألة؛ فأعظم أصلٍ وقع فيه خلافٌ بيننا وبين الرافضة مسألة الصحابة، لذا ينبغي على المسلم أن يتعرف على هذه المسائل، وأن يَعْتقدها على الطريقة الصحيحة.

قال الإمام الطحاوي: (**ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحدٍ منهم ولا نتبرأ من أحدٍ منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير ذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير وحُبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وعصيانٌ**) (٨).

فالصحابة هم نقلة الوحي، هم من نقلوا لنا الكتاب والسُّنة؛ لذلك الطعن فيهم طعنٌ في الكتاب والسنة، لذلك تجد من أراد أن يُسقط القرآن والسُّنة يطعن فيمن نقل القرآن والسُّنة، فإن أسقط ناقل القرآن والسُّنة فبطبيعة الحال سيسقط القرآن والسُّنة، لذا التنقص واللمز والغمز بصحابة رسول الله ﷺ من أعظم الأمور وأخطرها، والطاعن فيهم يَستحيل أن يكون مؤمنًا حق الإيمان، فكيف يَبغض صحابة رسول الله ﷺ! وهم الذين رضي الله عنهم وأثنى عليهم، وأثنى النبي ﷺ عليهم في أحاديث كثيرة تُعد ولا تُحصى.

وأهل السُّنة والجماعة وسطٌ في باب الصحابة بين الروافض والخوارج والنواصب، يُحبون أصحاب رسول الله ﷺ ، ويَعْتقدون العصمة فيهم بمجموعهم، فلا يمكن أن يجتمع الصحابة على أمرٍ باطلٍ؛ فاجتماعهم مثلًا على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من غير المعقول أن يكون اجتماعًا باطلًا. أمَّا العصمة لأفرادهم وأعيانهم فلا؛ لأنَّ الخطأ يقع من البشر.

❁ تعريف الصحابي:

اختَلف العلماء في تعريف الصحابي على عدد من الأقوال، أختار أعدلها بحول الله عز وجل ، فالصحابي: هو من لَقِيَ النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك؛ فيَدْخل فيه الأعمى،

(٨) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٦٧).

وقيدوا هذا التعريف بقيد فقالوا: ولم يتخلله ردة، فلو أنَّ رجلًا لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ثم ارتد، لا يُعدُّ صحابيًّا، ولكن لو أنه عاد فأسلم، ففيه تفصيل: إن أسلم في حياة النبي ﷺ ثبتت له الصحبة بإسلامه الثاني، وإن لم يُسْلم في حياة النبي ﷺ فإن صحبته مردودة فلا يُعدُّ من الصحابة، وهو قول الأحناف والمالكية. واستدلوا على هذا القول بأنَّ الردة كُفر-والعياذ بالله-، والكُفر مُحبط للعمل، والصحبة عَملٌ، فحبطت هذه الصحبة.

وما من مسألة ذكرها العلماء إلا ولها ثمرة ولها فائدة، فمن ثمرة إثبات الصحبة تعديل الرواة في الحديث، فالقول بثبوت الصحبة ينبني عليها أشياء كثيرة جدًّا، ولا سيما في رواية حديث النبي ﷺ.

وقد أجمع أهل السُّنة والجماعة أن خير الأمة بعد نبيها ﷺ هم الصحابة، ثم التابعون، ثم الذي تبعوهم بإحسان؛ وذلك لما رُوِي الصحيحين من حديث عمران بن حصين أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - قالَ عِمْرانُ: فَما أدْرِي: قالَ النبيُّ ﷺ بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثًا - ثُمَّ يَكونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[٨].

والله ﷻ رضي عن الصحابة في آيات كثيرة منها قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، بل زكى قلوبهم فقال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي

٨) أخرجه البخاري (٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥).

قُلُوبِهِمْ﴾[الفتح:١٨]، فهو سبحانه وتعالى علام الغيوب، يعلم حال هؤلاء الصحابة، ثم تجد شخصًا من الروافض والخوارج يقول لك: إنَّ الصحابة ارتدوا وكفروا!

❁ المسألة الثانية: آل البيت:

ثم تحدث الناظم عن مسألة آل البيت فقال: (وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ)، فكما أنَّ حب الصحابة دين وإيمان، كذلك حب آل بيت النبي ﷺ دينٌ وإيمان، وثمة عدد من المسائل المتعلقة بآل البيت، وهي:

❁ من هم آل البيت؟

العلماء يذكرون ضابطًا ويعددون آل البيت؛ فيذكرون ضابطًا يجمع آل البيت كلهم ثم يفصلون فيه؛ فيقولون: آل بيت النبي ﷺ هم الذين لا تحل لهم الصدقة، هذا هو الضابط، فالذين لا تحل له الصدقة هم آل بيت النبي ﷺ، ثم عددوهم فقالوا:

أولًا: زوجاته-رضي الله عنهن- أمهات المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣]. فأول من يدخل في آل البيت هن زوجاته أُمَّهات المؤمنين-رضي الله عنهن- جميعًا، وفي ذلك ردٌّ على الروافض الذين يخرجون نساء النبي ﷺ من آل البيت.

ثانيًا: أولاده؛ لحديث عائشة: « **خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ:** ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ **[الأحزاب: ٣٣]** »[٨].

فهؤلاء المذكورون في حديث الكساء الذين أدخلهم النبي ﷺ.

ثالثًا: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبدالمطلب. ودليل دخول هؤلاء في آل البيت الحديث الذي عند مسلم: أنَّ الفضل بن عباس رضي الله عنهما، وعبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب طلبَا أن يوليهم النبي ﷺ على الصدقة فقال: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ**»[٨].

وقول من قال من أهل العلم _وهذا مَذهَبُ الشَّافعيِّ وأحمَدَ في روايةٍ عنه_: إن أهل البيت هم بنو هاشم، وبنو المطلب، يريدون التفريق بينهما وبين أخويهما: عبد شمس، ونوفل، وأربعتهم أولاد عبد مناف؛ وذلك لحديث جبير بن مطعم، قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلنا: أعطيت بني المطلب من خمس خيبر، وتركتنا، ونحن بمنزلة واحدة منك، فقال «إنما بنو هاشم، وبنو المطلب شيء واحد»، قال جبير: «ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس، وبني نوفل شيئًا». رواه البخاري.

---

(٨) أخرجه مسلم (٢٤٢٤).

(٨) أخرجه مسلم (١٠٧٢).

والمطلب غير عبد المطلب! فالمطلب أخو هاشم شقيقه، وأما عبد المطلب فابن هاشم لصلبه؛ فالمطلب عم عبد المطلب.

وقوله: (بِهَا أَتَوَسَّلُ): الناظم يَتوسّل هنا إلى الله ﷻ بمودة وحب آل بيت النبي ﷺ، فما هو التوسل؟ وهل توسله هنا جائز؟ وهل هو من التوسل المشروع أو من غير المشروع؟

❁ التَّوسُّل:

هو طلب حاجةٍ دينيةٍ أو دنيوية بوسيلة -أي بواسطة- وهو عند العلماء على نوعين: توسُّل مشروع، وتوسُّل ممنوع.

❁ النوع الأول: التوسل المشروع:

وهو أن تطلب من الله ﷻ حاجة بوسيلةٍ شرعية، ومن أنواع التوسل المشروع: التوسل بأسماء الله ﷻ وبصفاته، فالله ﷻ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وهذا دليل على جواز التوسل بأسماء الله، كذلك التوسل بصفات الله ﷻ، فالنبي ﷺ توسل بالرحمة في قوله: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»(٨)، والرحمة من صفات الله ﷻ.

(٨) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٢٤): "حديث حسن".

كذلك من أنواع التوسل المشروع: التوسل بالإيمان كما قال الله ﷻ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾ [آل عمران:١٩٣] فهؤلاء توسلوا بالإيمان.

كذلك من أنواع التوسل المشروع: التوسل بالتوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وكذلك من أنواع التوسل المشروع: التوسل بالأعمال الصالحة؛ لما رُوِي في الصحيحين[٨] من حديث ابن عُمر: في قصة الثلاثة الذين أواهم المبيت في ليلة المطيرة إلى الغار فتدحرجت صخرة وأغلقت الباب؛ فدعوا الله-عز وجل- وتوسلوا إليه بخالص أعمالهم، وهذا دليل جواز التوسل بالعمل الصالح. وهو ما صنعه ابن تيمية هنا؛ فقد توسل إلى الله بعمل صالح، وهو بمحبة آل البيت، ومحبة الصحابة رضي الله عنهم. وعجبك لا ينتهي ممن يتوسل بجاه النبي ﷺ ولا يتوسل بمحبته له ولآل بيته!

❁ **النوع الثاني: التوسل الممنوع**: وهو أن تطلب من الله حاجة دينية أو دنيوية بوسيلة وطريق غير مشروعة. ومن ذلك: التوسل إلى الأموات بدعائهم من دون الله عز وجل، وهو نوع من أنواع الاستغاثة الشركية، فالطلب من غير الله مباشرة فيما لا يقدر عليه إلا الله استغاثة شركية، وغلب على استعمال جمع من العلماء غلب تسميتها بالتوسل، فإذا سمعت أو قرأت من يقول: إن التوسل شرك، فإنما يعني به أن تطلب من غير الله، بخلاف التوسل المستقر في أفهامنا وهو أن تطلب من الله بواسطة.

٨) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

أما التوسل إلى الله بذات أو جاه أحد الأنبياء والصالحين، فهو بدعة منكرة، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبي، وغيرهم من أهل العلم.

وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تَوَسَّلُوا بِجَاهِي فَإِنَّ جَاهِي عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ»[٨] وهو حديثٌ باطل لا أصل له.

ومن الشبه التي تَرِد علينا: استدلال من يجيز التوسل بالصالحين والأولياء بفعل عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما عند البخاري[٨] من حديث أنس في قصة الاستسقاء، وجاء فيه: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ. ونجيب عن هذه الشبهة، فنقول:

أولًا: لو كان التوسل بذات أو جاه الأنبياء والصالحين جائزًا لتوسل عمر رضي الله عنه بجاه النبي ﷺ وهو ميت.

ثانيًا: أنَّ عُمر بن الخطاب طلب الدعاء من العباس عم النبي ﷺ. والتوسل بدعاء الصالحين جائز بالتفاق المسلمين. والدليل على أنه طلب الدعاء هو أنَّ القصة في الاستسقاء، والاستسقاء طلب الغيث.

❁ تحرير مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم:

أما التوسل بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فسأجعله على مسائل:

---

(٨) حديث باطل لا أصل له. وقد ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١/ ٣١٩).

(٨) أخرجه البخاري (١٠١٠).

الأولى: لا خلاف عند العلماء في جواز التوسل به صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ إذا كان بمعنى طلب دعائه منه في الدنيا، والشفاعة في الآخرة، في حياة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن تطلب منه الدعاء أو يشفع لك فهذا لا خلاف فيه في جوازه، هو حي صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ في حياته؛ دل عليه حديث أنس في الصحيحين في استسقائه بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على المنبر، يعني طلب دعاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أيضًا حديث عمر: (إِنَّا كُنَّا نَسْتَسْقِي إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا)، فمعنى نستسقي بنبينا: أي نطلب منه أن يدعو الله لنا، فنسقى بدعائه صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ، فهذا لا خلاف في جوازه، ودليله من القرآن قول الله جل في علاه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. وكذلك حديث الشفاعة أن الخلائق يأتون إليه يوم القيامة، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد وغيره أن الناس يأتون إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعدما يطلبون من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى والكل يحيل على محمد صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ.

الصورة الثانية من التوسل بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وهي أن يكون التوسل به بمعنى الإيمان به، ومحبته صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ، وهذا جائز اتفاقًا. وصورته تقول: يا رب إني أتوسل إليك بحبي للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فهذا جائز اتفاقًا، ويذكر العلماء منه صورة قد تشكل على بعضكم، لكن نحن هنا في مقام تحرير، لسنا في مقام ترجيح، وإلا لقلنا مباشرة ما هو الصحيح وما هو الراجح وانتهينا من البسط، لكن هذا البسط نحن نحتاجه اليوم؛ لأن كثيرًا من شبابنا ومن فضلائنا قد يسمعون من هنا ومن

هناك في الجامعات وعبر الإذاعات أن التوسل هذا أمر جائز، ولم يقل بحرمته إلا ابن تيمية والوهابية.

لذا نحن هنا سنحرر المسألة، لذلك أقول: الصورة الثانية من صور التوسل بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الجائزة باتفاق العلماء: أن تكون بمعنى محبته والإيمان به، ومنها أن تقول: أتوسل إليك بنبيك، وأن تعتقد أن المعنى هاهنا محبتك للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإيمانك به، فهذه تدخل تحت باب من أبواب التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح، وهذا جائز اتفاقًا. كما تقدم.

وهذه الصورة يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: "من أراد هذا المعنى فهو مصيب بلا نزاع"[٨]، وعليه يحمل حديث عثمان بن حنيف، وعمل أو فعل بعض السلف". ففي حديث عثمان بن حنيف قال: أتوجه إليك بنبيك، ويذكر المستدلون على جواز التوسل البدعي المحرم بعض العبارات الواردة عن السلف التي فيها أتوسل إليك بنبيك، ويذكرون كلام ابن تيمية السابق بل يقولون إنه يجيز التوسل. فاحفظ يا طالب العلم وكن على تفطن إن قرأت عن السلف أو في حديث ذكر التوسل فالمقصود بها محبته صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ والإيمان به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعليه أيضًا حمل ما روي عن الإمام أحمد من تجويز التوسل به بعد موته فيحمل ما نقل عن الإمام أحمد أن المقصود بالتوسل المحبة، والإيمان به صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ، قال الألوسي المفسر المشهور: (أنا لا أرى بأسًا في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي

(٨) مجموع الفتاوى (١/ ٢٢٠).

صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ عند الله حيًا وميتًا، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)[٨]، وهي تعظيمه لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، محبته له... مثل أن يراد به المحبة التامة ، فالذي يقول: أتوسل إليك بمحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو بجاهه ويعتقد هذا المعنى، يكون تفسير ذلك أي أنا أعتقد محبتك التامة لنبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تستدعي قبول شفاعته صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وتقصدت أن أنقل لكم كلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ومن أنكر التوسل لأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتد يستتاب.

الصورة الثالثة: التوسل به بعد وفاته صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ:

قبل أن أتكلم عن هذه المسألة أريد أن أنبهك يا طالب العلم على أمر وهو: لا يضرك أن تعتقد أمرًا بما انتهى إليه بحثك ونظرك أو تقليدك لمن تثق به، لا يضرك أن تسمع أقوالًا أخرى في المسألة، فوجود أقوال أخرى في مسألة من المسائل لا يعني خطأ القول الذي أنت عليه، هذه مسألة مهمة جدًا، أنا لماذا أقول هذا الكلام؟ لأنه قد يستقر في قلبك شيء بعد بحث ونظر أو سماع لمشايخ أو علماء فيأتي قول آخر تسمعه فيورثك هذا القول الآخر شكًّا في القول الذي أنت كنت عليه دون علم، أو لا تقبل أبدًا هذا القول ولا تقبل أن تسمعه، وهذا أيضًا فيه إشكال خطير جدًا، ووجه الإشكال فيه: أن هذا الذي ستسمعه ويسمعه غيرك سيحدث عند الناس تشويشًا، عند من لم يسمع إلا قولك أنت، فلا بد أن تسمع القول الآخر وأدلته حتى لا يحدث سماعك له على ألسنة المبغضين

٨) روح المعاني للألوسي (٣/ ٢٩٧).

لأهل السنة خلخلة لثوابتك، حتى سمعنا وقرأنا حينما ننبه الناس على عدم جواز التوسل بجاه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمعنا من يقول: المسألة فيها خلاف، وقول الأئمة الأربعة وغير ذلك!.

فيأتي من لم يطلع على هذا الخلاف فيقع في نفسه أنك أنت دجال، أو أنت وهابي متجنٍ، لذا التأصيل في هذه المسائل مهم جدًا، لذلك أقول: التوسل به صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ بعد وفاته بجاهه بحقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوزه جمهور الفقهاء، وأعني بهم غالب المتأخرين أو جمع من المتأخرين في كل مذهب عندهم التوسل بجاه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحقه جائز بعد وفاته، مستدلين بعمومات:

منها الآية وهي قوله جل في علاه: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، ومنها حديث عمر في استسقاء العباس.

والقول الثاني في هذه المسألة: قول أبي حنيفة وصاحبيه، وهو الكراهة.

والقول الثالث: قال به جمع من متأخري الحنابلة وهو الحرمة، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ. وقبل أن أعرض لكم الأدلة وأنقل لكم كلامًا لشيخ الإسلام أنبهكم على شيء: من يقول لك مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة جواز التوسل فلا تصدقه؛ فإن أبا حنيفة صرح بعدم الجواز، وإن مالكًا لا يعرف له فيها كلام ولا الشافعي، فهؤلاء هم أئمة المذاهب الثلاثة، أما الإمام أحمد فكما تقدم روي عنه أن التوسل بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جائز، وذكر هذا القول من محرري المذهب البهوتي في كشاف القناع، وقبله صاحب المستوعب.

بينما لم يذكره جمع من محرري مذهب الحنابلة كالمرداوي مثلًا، وابن قدامة، ولتحرير قول الإمام أحمد فيما يظهر والله تعالى أعلم أن الإمام أحمد جعل مسألة التوسل بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كالحلف به، ويجعلها خاصة به لا تتعداه إلى غيره، صح الخبر عن أحمد في تجويز ذلك، التوسل بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذكرت لكم قبل قليل حملها بعض العلماء على أنها عائدة إلى صفة من صفات الله جل في علاه وهي محبته وتعظيمه وقبوله لشفاعة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال ابن مفلح رحمه الله: " ويجوز التوسل بصالح، وقيل: يستحب، قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي: إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره، وجعلها شيخنا كمسألة اليمين به" انتهى من "الفروع" (٣/ ٢٢٩).

قال ابن تيمية: وأما قول القائل: اللهم إني أتوسل إليك به. فللعلماء فيه قولان: كما لهم في الحلف به قولان: وجمهور الأئمة كمالك؛ والشافعي؛ وأبي حنيفة: على أنه لا يسوغ الحلف بغيره ؛ من الأنبياء والملائكة ، ولا تنعقد اليمين بذلك باتفاق العلماء.

وهذا إحدى الروايتين عن أحمد. والرواية الأخرى : تنعقد اليمين به خاصة ، دون غيره؛ ولذلك قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروذي صاحبه: إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه. ولكن غير أحمد قال: إن هذا إقسام على الله به ، ولا يُقْسَم على الله بمخلوق. وأحمد ، في إحدى الروايتين : قد جوز القسم به ؛ فلذلك جوز التوسل

به. ولكن الرواية الأخرى عنه: هي قول جمهور العلماء ؛ أنه لا يقسم به . مجموع الفتاوى (١/ ١٤٠)

ومما يحسن ذكره أنه يجاب عن أدلة أصحاب القول الأول وهم المجيزون بأنه كما عندكم نقولات عن أصحاب المذاهب الثلاثة أو حتى الأربعة بالجواز، فعندنا نقولات عن أصحاب المذاهب الأربعة بالمنع، أعني عن اتباع أصحاب المذاهب الأربعة.

وأيضًا يجاب عن أدلتهم أن التوسل بالعباس إنما كان بدعائه، فقد أخرج الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح كما ذكر الحافظ في الفتح، رواية قال: "كانوا إذا قحطوا في عهد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ استسقوا به فيستسقي لهم". ومعنى فيستسقي لهم أي: يطلبون دعائه فيدعو. وأيضًا جاء في بعض الروايات التي أخرجها الزبير بن بكار في كتابه الأنساب، أن العباس لما استسقى به عمر قال، العباس: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث". فهذه عبارة العباس رضي الله تعالى عنه، وهذا استسقاؤه وهو دعاء كما ترى.

وأخرج عبد الرزاق عن ابن عباس أن عمر استسقى بالمصلى فقال للعباس: قم فاستسقي، فقام العباس، لذلك حمل البيهقي الشافعي الأشعري الأثر على التوسل بدعاء الصالحين، فبوب له في سننه الكبرى فقال على هذا الحديث: **باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه**، فالذي فهمه البيهقي من هذا الحديث أن الاستسقاء كان بالدعاء، أما غير ذلك من الأحاديث فيثبت منها حديث واحد وهو حديث عثمان بن حنيف في قصة

الضرير الذي جاء إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وطلب من النبي صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ أن يدعو له بأن يرد الله إليه بصره فأرشده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أسر الرجل الصحابي أن يدعو النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال له معلمًا إياه أن يقول: اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهُ عَلَيْهِ نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك في حاجتي هذه اللهم شفعه في، _وثمة جملة كل من يجيز التوسل البدعي ويستدل بحديث الضرير لا يذكرها_، وهي: وشفعني فيه، في آخر الحديث: اللهم شفعه في وشفعني فيه، هذا ما يذكرونها، فلو كان المعنى هاهنا أتوجه إليك بنبيك التوسل بجاه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو بذاته أو بحقه بعد موته، هل يصح أن يقول: وشفعني فيه؟ كيف يشفع هذا بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

لذلك معنى حديث عثمان بن حنيف كما ذكرنا: أولًا النبي عليه الصلاة حي، فهو جاء إليه في حياته، وطلب منه الدعاء بنص الحديث، فعلمه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يدعو. والحديث أخرجه أحمد بسند صحيح عند أكثر العلماء، وبعضهم تكلم في بعض الروايات، أما ما جاء عند الطبراني من زيادة في هذه القصة: أن عثمان بن حنيف صار يعلم الناس هذا الدعاء بعد موت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فليس بصحيح، وهي روايات ضعيفة. تفرد بها حماد بن سلمة، وخالف فيها شعبة، أما باقي الأحاديث فهي لا تثبت كما تقدم منها: "توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم"، موضوع، حديث مكذوب، وحديث قراءة آدم عليه السلام لاسم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على كرسي العرش وتوسله به مكذوب موضوع لا يثبت.

۞ ثم قال الناظم-رحمه الله-:

٤.	وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلٌ	***	لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

❁ الشرح:

بين الناظم في هذا البيت أنَّ أفضل الصحابة هو أبو بكر الصديق؛ دليل تفضيل أبي بكر ﷺ على بقية الصحابة ثابت في الكتاب والسُّنة، فهو أول من أسلم من الرجال؛ لما رُوي عن عمار بن ياسر أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ، إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ، وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ»(٨).

وقال النووي: (**أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر**) (٨). وقد وقع خلاف في مسألة من أسلم أولًا أبو بكر أم علي ﷺ؟ وأعدل الأقوال أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال.

وروى البخاري(٨) من حديث محمد ابن الحنفية ﷺ قال: «قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ». وفي الصحيحين(٨) عن النبي ﷺ أنَّه قال: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»، وروى

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٦٠).

(٨) تهذيب الأسماء للنووي (١/ ٣٤٤).

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٧١).

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، ومسلم (٢٣٨٢).

البخاري[٨] من حديث أبي الدرداء أنَّ النبي ﷺ قال: «فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي».

والله ﷻ كما في قصة الهجرة قال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠]، وقد أجمع أهل السُّنة والجماعة أنَّ ثاني الاثنين هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عُمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم العشرة ثم أهل بدرٍ وهذا هو ترتيب الصحابة عند أهل السُّنة والجماعة.

۞ ثم انتقل الناظم-رحمه الله تعالى- إلى مسألة عظيمة جليلة القدر يتحدَّث عنها أهل الاعتقاد، وهي من أكثر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السُّنة ومخالفيهم، ومن أكثر المسائل التي وقع فيها خلافٌ بين أهل السُّنة والجماعة ومخالفيهم في باب الاعتقاد: مسألة الكلام، ومسألة الاستواء، ومسألة الرؤية ومسألة النزول، فقال:

٥.	وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ	***	آيَاتُهُ فَهُوَ الكَرِيمُ[٨] المُنْزَلُ

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٦١).

(٨) تنبيه: وقع في بعض نسخ اللامية قوله: (القديم) بدل (الكريم). وقد أجاب الشُّرَّاح عن هذا بعدد من الأجوبة: منها: أنَّ اللفظ الثابت الصحيح: الكريم.

والجواب الآخر: أن بعض أهل العلم أحيانًا في رده على المخالفين يستعمل بعض المصطلحات الرائجة في زمانه. وقد فَعَل ذلك الطحاوي في عقيدته، واستخدم لفظة (القديم).

❁ الشرح:

يُبيِّن شيخ الإسلام عقيدته في مسألة خلق القرآن الكريم، وإثبات صفة الكلام لله ﷻ، فالقرآن عند أهل السُّنة هو كلام الله، منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، بصوتٍ وحرفٍ مسموع. والدليل من القرآن الكريم على أنَّه كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] ومن أدلة القرآن على أن كلام الله مُنزلٌ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[يوسف:٢]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ﴾[النحل:١٠٢].

ودليل قولنا: (منه بدأ): أن القرآن أنزله جبريل الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، وإن أضيف إلى جبريل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقة:٤٠] فهذه إضافة تبليغٍ.

أما دليل قولنا (إليه يعود): ما جاء في حديث عَن حُذيفةَ ﷺ قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «يَدْرُسُ الإِسْلاَمُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لاَ يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلاَ صَلاَةٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلاَ صَدَقَةٌ وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ فِى لَيْلَةٍ فَلاَ يَبْقَى فِى الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الكَلِمَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله فَنَحْنُ نَقُولُهَا. فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِى عَنْهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ مَا

صَلاَةٌ وَلاَ صِيَامٌ وَلاَ نُسُكٌ وَلاَ صَدَقَةٌ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاَثًا كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ. ثَلاَثًا»[٨].

وأما دليل إثبات الصوت والحرف: فحديث ابن مسعود عند البخاري معلقًا[٨] ووصله في خلق أفعال العباد[٨] وأخرجه أبو داود[٨] وغيره[٨] بسندٍ صحيح قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا فَيُصْعَقُونَ فَلاَ يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ. قَالَ: فَيَقُولُونَ : يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ فَيَقُولُ : الحَقَّ فَيَقُولُونَ : الحَقَّ الحَقَّ».

وفي هذا دليل أنَّ كلام الله بصوت؛ وليس فيه تشبيه للصوت بالصوت، وإنما للسماع بالسماع. كما جاء أيضًا عند الترمذي[٨] من حديث ابن مسعود قال: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ» هذا إثباتٌ للحروف.

---

(٨) أخرجه ابن ماجه (٤١٨٥)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٤٩): "حديث صحيح".

(٨) أخرجه البخاري معلقًا (٩/ ١٤١).

(٨) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٩٩).

(٨) أخرجه أبو داود (٤٧٤٠)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن أبو داود (١٠/ ٢٣٨): "حديث صحيح".

(٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٢٣).

(٨) أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠): "حديث صحيح".

كذلك أخرج اللالكائي[٨] والآجري[٨] بسند فيه ضعف عن ابن عباس ﷺ تفسير قول الله ﷻ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزمر:٢٨] قال ابن عباس: غير مخلوق.

وقد أخرج البخاري في خلق أفعال العباد[٨] عن سفيان الثوري قال: ((أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة - منهم عمرو بن دينار - يقولون: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق)).

والقول بأنَّ كلام الله مخلوق تعطيل لصفة الكلام، والقول بأنَّ القرآن مخلوقٌ كما هو قول الجهمية والمعتزلة قولٌ باطلٌ من كل وجه، وهو قولٌ ظَهَر وانتشر زمن الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله تعالى-، وقد ثَبَّت الله الإسلام في هذه الفتنة بالإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى-.

وقد خالف أهل السُّنة في هذه المسألة عددٌ من الفِرق المنحرفة، وهم الجهمية والمعتزلة. والفَرْق بين الجهمية والمعتزلة في هذه المسألة أنَّ المعتزلة قالوا: القرآن مخلوق وإضافته لله إضافة المخلوق للخالق كما في إضافة بيت الله، وناقة الله كلام الله. أما الجهمية فلا يضيفونه لله أبدًا نفاة الأسماء والصفات.

---

(٨) أخرجه في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٤١). وهو ضعيف.

(٨) الشريعة ص٧٧. وهو ضعيف.

(٨) خلق أفعال العباد (٢٦٦٦).

ومن المخالفين لأهل السُّنة أيضا الأشاعرة وهم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي (ت:٣٣٣هـ) الذين يقولون عن كلام الله أنَّه كلام نفسي، أي: أنَّ المعنى من الله-عز وجل- أما اللفظ فليس من الله؛ بل خلقه كما خلق الكلام في الشجرة التي كلمت موسى -والعياذ بالله-.

وبداية نشأة هذه العقيدة المنحرفة أعني عقيدة الكلام النفسي هي أنَّ ابن كُلَّابٍ وأصحابه حاولوا الرَّدَّ على المُعتَزِلةِ من طريقِ مجرَّدِ العقلِ، مع بعدهم عن أُصولَ السُّنَّةِ، وما كان السَّلَفُ عليه؛ فهم لا يحتجُّونَ بالأخبارِ الواردةِ في ذلك؛ زعمًا منهم أنَّها أخبارُ آحادٍ، وهي لا توجِبُ عِلمًا، وألزمَتْهم المُعتَزِلةُ أنَّ الاتِّفاقَ حاصِلٌ على أنَّ الكلامَ حرفٌ وصوتٌ، ويدخُلُه التعاقبُ والتأليفُ، وذلك لا يوجَدُ في الشَّاهِدِ إلَّا بحركةٍ وسكونٍ، ولا بُدَّ له من أن يكونَ ذا أجزاء وأبعاضٍ، وما كان بهذه المثابةِ لا يجوزُ أن يكونَ من صفاتِ ذاتِ الله؛ لأنَّ ذاتَ الله سُبحانَه لا تُوصَفُ بالاجتماعِ والافتراقِ، والكُلِّ والبعضِ، والحَركةِ والسُّكونِ، وحُكمُ الصِّفةِ الذاتيَّةِ حُكمُ الذَّاتِ، قالوا: فعُلِم بهذه الجملةِ أنَّ الكلامَ المضافَ إلى الله سُبحانَه خلْقٌ له، أحدَثَه وأضافَه إلى نفسِه!كما تقولُ: عبدُ الله، وخَلقُ الله، وفِعلُ الله؛ فضاق بابنِ كُلَّابٍ وأضرابِه النَّفَسُ عند هذا الإلزامِ؛ لقِلَّةِ معرفتِهم بالسُّنَنِ، وتركِهم قَبولَها، وتسليمِهم العِنانَ إلى مجرَّدِ العقلِ، فالتَزموا ما قالته المُعتَزِلةُ، وخرَقوا الإجماعَ المنعَقِدَ بَينَ الكافَّةِ المُسلِمِ والكافرِ، وقالوا للمُعتَزِلة: الذي ذكرْتُموه ليس بحقيقةِ الكلامِ، وإنَّما يُسمَّى ذلك كلامًا على المجازِ؛ لكونِه حكايةً أو عبارةً

عنه، وحقيقةُ الكلامِ: معنًى قائِمٌ بذاتِ المُتكَلِّمِ... ثمَّ خرجوا من هذا إلى أنَّ إثباتَ الحَرفِ والصَّوتِ في كلامِ اللهِ سُبحانَه تجسيمٌ، وإثباتَ اللُّغةِ فيه تشبيهٌ[٨]!

واعلم يا طالب العلم أنَّ أول من قال بهذه البدعية الشنيعة هو أبو محمد عبدَ اللهِ بنَ سعيدِ بنِ كُلَّابٍ (ت:٢٤٠هـ). والفرق بين الماتريدية والأشاعرة في هذا الباب هو أنَّ الماتريدية بقوا على قول ابن كلاب في أن القرآن حكاية عن كلام الله؛ فاستدرك عليهم أبو الحسن الأشعري في أنَّ الحكاية تكون مثل المحكي فالأليق والأنسب أن نقول: عبارة عن كلام الله. وكلا طرفي الأمور ذميم. ثم تأمل في تلك اللوازم الباطلة التي ألزموا أنفسهم بها إذا أثبتوا صفة الكلام؛ فالكلام عندهم لا بد له من مخارج حروف وهواء. تعالى الله عما يقول الظالمون. ولو أنهم لزموا الكتاب والسنة وما عليه السلف لأثبتوا الكلام مع تنزيه الخالق عن الشبيه والنظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وجدير بالذكر أنَّ أبا الحسن الأشعري رجع عن العقيدة التي كان عليها وكانت عقيدة الأشاعرة في ذاك الزمان ليست كعقيدة الأشاعرة في زماننا اليوم، وحتى تلك العقيدة التي كان عليها رجع عنها في كتابه: **الإبانة عن أصول الديانة**. وهذه حقيقة لا يود كثير من الأشاعرة قبولها.

(٨) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١١٥ - ١١٩) باختصار وتصرف.

ومن المخالفين أيضًا لأهل السنة في هذه المسألة الواقفة؛ وهم الذين يقولون: ليس بمخلوق ولا غير مخلوق. فيتوقفون، وهذا تورعٌ في غير محله. وثمة أيضًا فرقة أخرى وهم القائلون ببدعة اللفظية، وهم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوقٌ؛ وقولهم يحتمل الصواب، ويحتمل الخطأ، فإذا قصد حركة اللسان ونطق القارئ فلا شك أنه مخلوق، أما إذا قصد الكلام الذي قرأه القارئ فلا شك أنه غير مخلوقٍ، وأن هذا مشابه لقول الجهمية والمعتزلة والعياذ بالله. فالصوت صوت القاري والكلام كلام الباري.

❁ ثم قال الناظم رحمه الله:

٦.	وَأَقُولُ: قَالَ اللهُ -جَلَّ جَلَالُهُ-	***	وَالْمُصْطَفَى الهَادِي، وَلَا أَتَأَوَّلُ

❁ الشرح:

أي: يلتزم بما جاء في الكتاب والسُّنة بلا تأويل؛ فالإنسان إذا سَلَّم نفسه إلى الكتاب والسُّنة بفَهْمِ الأصحاب ﷺ نجا بين يدي الله ﷻ ، أما الإنسان الذي إذا جاءته الآية عرضها على عقله، ثم يُؤل ويَتكلَّم بها كيفما شاء، فهذا الذي يُعرض نفسه إلى الزيغ والضلال -والعياذ بالله-. فليكن منهجك يا طالب العلم السني دائما مبنيًّا على قال الله، قال رسوله صلى الله عليه وسلم، بلا تأويل. وليس في هذا تعطيل للعقل كما يقول العقلانيون الذين يقولون: إن السلفية انتحار للعقل. فهذا قول باطل؛ فالله ﷻ أمرنا في آيات كثيرة أن نتفكَّر ونتدبَّر، وأن نتعقَّل ونعقل، ولكن كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: (**النص قاضٍ والعقل شاهدٌ؛ فالقاضي يستدعي الشاهد متى شاء إلى**

المحكمة ويطرده منها متى شاء)[٨]. فالعقل له حدّ يجب أن يَقف عنده الإنسان، فلا يتجاوزه؛ لأنك إذا أردت أن تعرض كل أمرٍ على عقلك، فحتى يقتنع هذا العقل بهذه الأمور ستهلك -والعياذ بالله-، إذ سيصل بك التشكيك إلى مسلمات في ديننا الحنيف.

قوله (أَتَأَوَّلُ): التأويل لغةً: الحقيقة التي يرجع إليها الشيء.

واصطلاحًا: له عددٍ من المعاني:

❁ **المعنى الأول**: التفسير.

❁ **المعنى الثاني**: صرف اللفظ عن ظاهره، وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: صَرْف اللفظ عن ظاهره لدليل صحيحٍ من الكتاب والسُّنة، وهذا تأويل مَقبول.

النوع الثاني: صرف اللفظ عن ظاهره لدليلٍ ليس صحيحًا، وهذا النوع مردود ولكن لا يُبَدَّع صاحب هذا التأويل، وهذا يقع في كُتُب التفسير كثيرًا، فيُفَسّر المفسّر بناء على أحاديث ضعيفة أو موضوعة.

النوع الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل، وهذا ما يصنعه الرافضة، وأهل الضلال كالحلولية وغلاة المتصوفة، كما يفسرون مثلًا: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا

(٨) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٧٩)، بلفظ: (إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف علي كل ما يخبر به العقل).

مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾[النور:٣٥] يقولون: هذه فاطمة وعلي وآل البيت. وهذا التأويل صرف للفظ عن ظاهره لا لدليل، وهذا هو التأويل الباطل. والقائل به ضالٌ مبتدع والعياذ بالله.

❁ ثم قال الناظم رحمه الله:

٧.	وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا	***	حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

❁ الشرح:

منهج أهل السُّنة والجماعة في الصفات يقوم على أصلين عظيمين أشار لهما الناظم- رحمه الله تعالى- وهما:

❁ الأصل الأول: إثباتٌ بلا تمثيل:

فجميع نصوص الصفات ينبغي أن يتعامل معها السني على هذا الباب: إثبات؛ فيثبتها كما جاءت، بلا تمثيل؛ فنثبت اليد والسمع والبصر والاستواء والمجيء والضحك إلى غيرها من الصفات بلا تمثيل، أي: بلا تشبيه؛ فلا نشبه المخلوق بالخالق، والمشبهة تكاد تكون انقرضت في زماننا.

❁ الأصل الثاني: تنزيهٌ بلا تعطيل:

المسلم حينما يَثْبت الصفات لله ﷻ على ما يليق بجلاله، فهو لا يشبهه بأحد، ولا يعني ذلك تعطيل الصفات كما فَعَل أهل الباطل.

فأهل السُّنة يثبتون الاسم والصفة والمعنى، فالرحمن مثلا يُثبتون منه الاسم، ويثبتون صفة الرحمة، ويُثبتون معنى الرحمة، ولكنهم يَفوّضون الكيف. وهكذا يتعامل أهل السُّنة مع جميع نصوص الصفات، كما قال مالك-رحمه الله- قال: (**الاستواء معلوم؛ والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة**)[٨].

المخالفون لأهل السُّنة في باب الصفات على طوائف:

۞ **الطائفة الأولى**: المشبهة، وهم الذين شبهوا الله بخَلْقه، فيثبتون الصفات على مثل صفات المخلوقين-تعالى الله عما يقولون-.

۞ **الطائفة الثانية**: المُعطلة، وهم أشد خطرًا. والمعطلة على فِرق:

الفرقة الأولى: الجهمية، وهؤلاء عطلوا جميع الصفات فلا يثبتون شيئًا لا من الأسماء ولا من الصفات. وينتسبون إلى الجهم بن صفوان، وقيل: ينتسبون إلى معبد الجهني، وقد كفَّره أهل السُّنة والجماعة فضحى به أحد ولاة المسلمين صبيحة عيد الأضحى.

الفرقة الثانية: المعتزلة، وهؤلاء يثبتون الأسماء ويعطلون الصفات.

الفرقة الثالثة: المفوضة، وهؤلاء يثبتون الاسم ويثبتون الصفة، لكنهم يفوضون المعنى والكيفية، فالفرق بيننا أهل السُّنة وبينهم في مسألة المعنى، وهي منتشرة جدًّا في زماننا، وجُل الأشاعرة اليوم على هذا الطريق، طريقة أهل التفويض، ويزعمون أنَّ التفويض هو مذهب أهل السُّنة والجماعة، وهذا باطل.

---

(٨) بيان تلبيس إبليس (١/ ٣٤٧)، الثمر الداني (ص١١).

الفرقة الرابعة: الأشاعرة، وهؤلاء يثبتون سبع صفات وهي التي جمعها الناظم بقوله:

حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ	***	إِرَادَة وَكَذَاكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فالأشاعرة المتأخرون لم يثبتوا من الصفات المعنوية (صفات المعنى) والتي هي معانٍ وجودية تقوم بالله تعالى : إلا سبعة. ولا يمكن تصور الذات مع تصور عدمها، كالحياة، والعلم، والقدرة، ونحوها.

ونَفَوا ما عَداها مِن الصِّفاتِ الخَبَرِيَّةِ الذَّاتيَّةِ والفِعْليَّةِ. ويقولون: الأفعال لا تقوم بالله؛ لذلك الأشاعرة لا يثبتون الصفات الفعلية، كالنزول، والمجيء، والضحك.

الفرقة الخامسة: الماتريدية، وهم كالأشاعرة، فقط زادوا صفةً على الصفات السبعة وهي: التكوين.

أما الكلام عن صفات الله باعتبار تعلقها بذات الله ﷻ ، فإنها تنقسم إلى أقسام:

❁ **القسم الأول: صفات ذاتية:**

وهي التي لا تنفك عن الله ﷻ كاليد والسمع والبصر.

❁ **القسم الثاني: صفات فِعلية:**

وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله مثل المجيء والنزول والضحك كما يليق بجلال الله ﷻ.

۞ القسم الثالث: صفاتٌ ذاتيةٌ فعلية:

مثل صفة الكلام فهي ذاتيةٌ من وجه لا تنفك عن الله، فأصل الكلام لا ينفك عن الله ﷻ، كما يقولون أهل السُّنة والجماعة، أما باعتبار آحاده وأفراد الكلام، فهي فِعلية يتكلم متى شاء.

۞ مسألة التعدي واللزوم:

أهل السُّنة أو العلماء يقسمون الصفات باعتبار التعدي واللزوم إلى قسمين: صفات لازمة، وصفات متعدية. فالصفات التي لها تعلقٌ بالمخلوق، صفات متعدية مثل الرحمة والمُلك والخَلْق، فالخَلْق يقتضي وجود مخلوق وهكذا، أما اسم الحي وصفة الحياة لله-عز وجل- هل لها تعلقٌ بغير الله؟ الحي متعلقة بالله ﷻ ، فالصفات اللازمة لا يكون لها تعلق فلا تتعدى إلى المخلوق.

الأصول الثلاثة لمن أراد الاشتغال بالأسماء والصفات:

الأصل الأول: لا أحد أعلم بالله من الله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠]، والله وصف نفسه وسماها بهذه الأسماء والصفات فهو أعلم بنفسه سبحانه وتعالى.

الأصل الثاني: لا أحد أعلم بالله من خَلْق الله من رسول الله ﷺ الذي وصف لنا وأَخْبر لنا عن ربه ﷻ ؛ فالأسماء والصفات يا أيها السني توقيفية لا مجال للعقل فيها. لا

مجال للزيادة فيها والنقصان أبدًا ، فهي مسائل لا اجتهاد فيها. مسائل توقيفية لا يجوز أن تسمِّي ربك ﷻ باسم لم يسمِه به، أو يتسمى به هو نفسه، أو نبيه ﷺ وكذلك الصفات.

الأصل الثالث: وهو أصل مهم جدًا: الله غيبٌ لم نره، والقول في الصفات كالقول في الذات، وما دُمنا لم نر الله ولا نعلم كيفيته، فمن باب أولى لا نعلم كيفية صفاته، هذه تدفع جميع الوساوس الشيطانية التي يأتيك بها الشيطان من باب الورع، فالصفات متعلقة بالذات، والذات لا نعلمها فلم نرها؛ لذلك القول في الصفات كالقول في ذات الله ﷻ. وقد حسمت القضية في القرآن الكريم لو أن أهل البدع يعقلون، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فالأصلان العظيمان الذين أشرنا إليهما: النفي والإثبات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى:١١] نفيٌ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل.

ونقول: حريٌ بطالب العلم والسلفي عقيدةً أن يكون سلفيًا في باب الأسماء والصفات ظاهرًا وباطنًا؛ فإياك أن تكون سلفيًا في الظاهر تُثبِت السمع والبصر والقدرة والعلم والإحاطة ولكنك جهمي في الباطن، فلا تراقب الله ﷻ تفعل الحرام وتقع في ما يغضب الله ﷻ ، وكأنك عطلت سمعه وعطلت بصره وعلمه وقدرته وإحاطته وملكه. وما أجمل ما قيل: (**لا تكن سلفيًا في الظاهر وجهميًا في الباطن**) ، فدراسة الأسماء والصفات ليس لمجرد الرد على المخالفين. فأنت حين تثبت لله السمع ينبغي على جميع الخلق، وطالب العلم من باب أولى ألا يقول شيئًا يغضب الله؛ لأنك أثبت لله سمعًا على ما يليق بجلاله، لا تفعل شيئًا يغضب الله لأنك أثبت لله بصرًا على ما يليق بجلاله، لا

تفعل شيئًا لا يحبه الله ولا يرضاه لأنك أثبت لله حبًّا ورضًا وهكذا ، هذا منهج ينبغي لك أن تكون عليه، فإن كنت سلفيًا في الباطن نجوت بين يدي الله ﷻ ، أثبت كل الصفات وعبدت الله بإثباتها وظهر أثر إثباتها على تصرفاتك فليست السلفية نسبة ينتسب إليها المرء فحسب، حزب ننتمي إليه فنضمن أننا من الفرقة الناجية، لا والذي خلق السماء؛ السلفية عقيدة ومنهج من سار عليها وصل. فمن قال أنا سلفي وأفعاله لا تدل على ذلك لن ينفعه ذلك، فنحن عندما ندرس عقيدة السلف ينبغي علينا أن نتمثلها.

وقوله: (حَقًّا كَمَا نَقَل الطِّرَازُ الأَوَّل): أي كما نُقِلَت عن السلف، وقد قلنا: إنهم أعلم الخلق بالله؛ لأنَّهم تعلموا ذلك عن رسول الله ﷺ

❁ ثم قال الناظم رحمه الله:

٨.	وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا	***	وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

أي: كما نقلت. وهذا منهج أهل السنة في هذاب الباب: نُمِرُّها كما أتت.

❁ ثم قال الناظم رحمه الله:

٩.	قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرآنَ وَرَاءَهُ	***	وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ: قَالَ الأَخْطَلُ

❁ الشرح:

يتحدث الناظم عن الصفات، فيقول: الإنسان ينبغي أن يصون جميع صفات الله- ﷻ- عن التشبيه، وعن جميع ما يتخيل، وإذا استدل في إثبات نصوص الصفات فمن

الكتاب ومن السُّنة، ويُستدل بفهمها وإثبات معانيها من الكتاب والسُّنة لا من كلام الشعراء؛ لأن أهل البدع والضلال في مسألة خَلْق القرآن قالوا: إن الكلام هو كلامٌ نفسي. أي: يقع في النفس وليس كلامًا له صوتٌ وحرف، واستدلوا على ذلك ببيت شعرٍ للأخطل -شاعر تغلبي نصراني أموي- وهو قوله(٨):

إِنَّ الكَلَامَ لِفِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا	***	جُعِلَ اللِّسَانِ عَلَى الفؤادِ دَلِيلَ

وفي مسألة الاستواء كذلك يستدلون على تأويلهم وتحريفهم لمعنى الاستواء ببيت منسوب للأخطل. وهو قوله:

قد اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وهذا البيت لا تصح نسبته له. وعلى فرض ثبوتها فلا حجة لهم فيه؛ إذا لا تعرف العرب استوى بمعنى استولى. قال ذلك ابن الأعرابي وابن الجوزي وابن تيمية(٨).

وابن تيمية هنا يشير إلى هذه المسألة، فيقول: إذا أردت أن تستدل فاستدل بالكتاب والسُّنة ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، ولا تستدل بكلام الأخطل، فقوله: (قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرَآنَ وَرَاءَهُ) أي: ترك الاستدلال بالقرآن واستدل بشعر الأخطل، وإن كان الأخطل أُمويًّا عربيًّا يُحتج بلسانه، ولكن العبرة بفهم السلف الذين فهمهم حجة على البشرية كلها. والمصيبة في زماننا هذا تجد من يترك الاستدلال

(٨) البيان والتبيين (١/ ١٨٧).

(٨) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٤).

بالكتاب والسُّنة وكلام السلف، وكلام العرب ومنهم الأخطل؛ ثم يستدل بكلام فلاسفة الغرب مفكريهم.

❁ ثم قال الناظم:

١٠.	وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ	***	وَإِلَى السَّمَاءِ بَغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

❁ الشرح:

تناول الناظم في هذا البيت عددًا من المسائل، وهي:

❁ **المسألة الأولى: مسألة رؤية المؤمنين لربهم:**

من أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة إثبات صفة تجلي الرب ﷻ للمؤمنين يوم القيامة، فالسلف يُعبرون عن هذه المسألة بتعبيرين:

التعبير الأول: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

التعبير الثاني: صفة تجلي الرب ﷻ للمؤمنين يوم القيامة.

هذا من أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة.

ومن المسائل التي وقع فيها خلافٌ بين أهل السُّنة ومخالفيهم إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، ولم يقع فيها خلافٌ بين السلف، فلم يرد عن السلف –رحمهم الله– الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولم يُنقل عن أحدٍ منهم نفي رؤية المؤمنين لربهم ﷻ.

۞ أدلة إثبات الرؤية:

الدليل الأول: قوله -تعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]؛ فقال -تعالى-: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٣]؛ والنظر كما يقول أهل التفسير واللُّغة: إذا عُدّي بـ (إلى) فيكون النظر الحقيقي، أي: المعاينة بالأبصار هذا الدليل الأول.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]؛ ورد عن مجاهد بن جبر -تابعي، من أتباع ابن عباس- أنه قال: (**منتظرة**)[٨]، فهل يعني ذلك أن مجاهدًا ينفي الرؤية، نقول: لا، الرؤية ثابتة في أدلة أخرى غير هذا الدليل، لكن هذا تفسيره هو، وتفسيره هذا تحتمله اللُّغة، ومن ذلك: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣] فالإنظار يأتي بمعنى الانتظار،وقد خالفه جماهير السلف، لكن إن احتج لك أحدٌ بهذا الدليل قل له: الرؤية ثابتة في أدلة أخرى غير هذا الدليل.

الدليل الثاني: قوله -تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]؛ وقد فسَّر النبي ﷺ ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ ؛ «**الجَنَّة**»، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: «**رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِم**». رواه مسلم[٨] من حديث صهيب.

فلا أجر ولا نعيم أعظم للمؤمن في الجنة من رؤية الرب ﷻ هذا أعظم نعيم عند أهل السُّنة والجماعة.

---

(٨) تفسير الخازن (٧/ ١٨٥).

٨) أخرجه مسلم (١٨١).

كذلك من الأدلة التي يستدل بها أهل السُّنة والجماعة على إثبات رؤية الرب ﷻ يوم القيامة، قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين:١٥]؛ الكلام عن الكفار، فلما حجب الكفار عن رؤيته لزم من ذلك أن المؤمنين يرونه، فلو سلمنا لأهل البدع بأن المؤمنين لا يرون ربهم يوم القيامة لاستووا مع الكفار.

❁ أدلة إثبات الرؤية من السُّنة:

جل أحاديث الرؤية متواترة، ونظمها أحدهم، فقال:

مِمَّا تَوَاتَر حَدِيث مِنْ كَذِبِ	***	وَمَنْ بَنَى للهِ بَيْتًا وَاحْتَسَب
رُؤيَةٌ، شَفَاعَةٌ وَالحَوْضُ	***	وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِهِ بَعْـض

أي: من الأحاديث المتواترة: أحاديث «من كذب عليَّ متعمدًا» [٨]، وحديث «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا للهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ»[٨]؛ وحديث «مَنْ بَنَى للهِ بَيْتًا» [٨]. فهذه أمثلة على الأحاديث المتواترة، إذن أحاديث الرؤية من الأحاديث المتواترة.

وأكثر من ثلاثين حديثًا من أحاديث الرؤية وردت عن النبي ﷺ بأسانيد صحيحة، منها ما هو عند البخاري ومسلم، من أشهرها حديث أبي سعيد الخدري، وحديث جرير بن عبد الله البجلي.

---

(٨) أخرجه البخاري (١٠٧) ومسلم (٣).

(٨) أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢/ ٣١٠): "حديث صحيح".

(٨) أخرجه مسلم (٥٣٣).

فقد روي عن جرير بن عبد الله البجلي أنه قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسولُ الله ﷺ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقالَ: إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَومَ القِيَامَةِ كما تَرَوْنَ هذا، لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ»(٨).

فهذا تشبيهٌ للرؤية بالرؤية، رؤيتنا لله كما نرى الشمس في رابعة النهار، وكما نرى القمر في ليلة البدر.

يقول الإمام السفاريني: قال ابن معين، والدارقطني وابن حجر، والسيوطي: **(أحاديث الرؤية رُويت عن خمسين إمامًا)**(٨).

والمخالفون لنا في هذه العقيدة، نفاة الرؤية هم: الرافضة، والمعتزلة، والإباضية، والجهمية، ولهم على ذلك أدلة. وحريٌ بنا ونحن طلبة علم أن نفقه أدلة القوم، حتى نستطيع أن ندفعها ونردها، فهم يستدلون بأدلة ليست صعبة، وليست معجزة أبدًا، ومن ذلك:

قول الله -عز وجل- لموسى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣]. قالوا: الله -عز وجل- نفى الرؤية بـ(لن) عن موسى وهو نبي، وغيره من باب أولى، والكلام بالعربية كما يقولون، ويرون أن (لن) في اللغة تفيد نفي على التأبيد، أي النفي الأبدي، فتقول مثلًا: لن أقوم، أي لن تقوم إلى الأبد، ليست مؤقتة بوقتٍ معين.

وقد أجاب أهل السُّنة والجماعة على استدلالهم بهذه الآية بعدة أجوبة:

منها: أن إثبات الرؤية ورد في أدلة أخرى.

---

(٨) أخرجه البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).

(٨) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٤٣).

وأقول: فقد قال الله –عز وجل– عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥]؛ أي (لن) يتمنوا الموت آية، وقال في آية أخرى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]؛ تمنوا الموت إذن (لن) لا تفيد التأبيد بنص الآية.

وفي ذلك أيضًا يقول ابن مالك –وهو من أئمة أهل اللُّغة– في الكافية الشافية:

وَمَنْ رَأى النَّفْي بِلَنْ مُؤَبَّدا	***	فَقَولُهُ ارْدد وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا

وقد وقع خلافٌ عن بعض أهل اللُّغة في أن (لن) تفيد التأبيد، والخلاف هنا مبنيٌ على أصلٍ عقدي؛ أي إنَّ من اللُّغويين الذين رأوا أنَّ (لن) تفيد التأبيد إنما بنوا ذلك على أصلٍ اعتزالي عندهم. ومنهم الزمخشري في كتابه **الكشاف**، فهو على عقيدة المعتزلة، لكن لا يُدرك حقيقة الكشاف إلا من تبحَّر في مذهب المعتزلة. ومثله الأخفش، وهو من تلاميذ سيبويه صاحب كتاب **معاني القرآن** أيضًا ينفي الرؤية، بناءً على عقيدة الاعتزال.

وقد قال أهل السُّنة: إن النفي لما غُيِّي بغاية أي: قُرِن بضابط وقتي أو بضابط حسي يمكن تحققه وهو قوله: ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾ [الأعراف: ١٤٣] دل على أنها ليست للتأبيد، فلو أنَّها للتأبيد لكان من النقص –وحاشا لله– أن يربط الرؤية بشيء لا يمكن أن يتحقق، والله –تعالى– أعلم.

وخلاصة مذهب أهل السُّنة والجماعة في هذه المسألة: أنَّ المؤمنين يرون ربهم عيانًا بأبصارهم يوم القيامة، ولكن دائمًا عندهم أصل عظيم ينطلقون منه في باب الصفات، وهو أن الكيفية مجهولة، كيف نراه؟ هذه علمها عند الله.

وسؤال الفرق المخالفة لنا وإيرادهم كقولهم: يلزم من إثبات الرؤية إشكالات وإيرادات عقلية. هذا يدل على أنَّه قد وقع في أنفسهم تخيل لذات الله –عز وجل–، فأرادوا الفرار من ذلك فنفوا الرؤية.

ونحن نقول: العلم بالصفات كالعلم بالذات، ونحن لم نر ذاته، ولا نعلم كيفيتها، لذلك نفوض هذه الكيفية، وسؤالهم من البداية مردود، كما قال مالك –رحمه الله–: (السؤال عنه بدعة). والقول ببدعية السؤال عن الرؤية والاستواء واحد، كيف نراه؟ وإن قيل: يلزم من ذلك الإحاطة، نقول: لا؛ فكيفية الرؤية هذه علمها عند ربي.

قوله: (وَإِلَى السَّمَاء بِغَيرِ كَيْف يَنْزِلُ): يتحدث اناظم هنا عن صفة النزول؛ فأهل السُّنة والجماعة يُثبتون لله نزولًا يليق بجلاله.والنزول صفة فعلية، ولا يوجد في القرآن دليلٌ على إثبات نزول الرب –تبارك وتعالى–، وأما أحاديث النزول فهي متواترة، ذكر ذلك الذهبي، وابن تيمية، والسيوطي، ولا إشكال في ثبوتها، ومن أشهرها ما في الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[٨].

٨) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

❁ أوقات نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا:

الوقت الأول: ثلث الليل الأخير. وهذا الذي ورد في حديث أبي هريرة. وقد جاء في بعض الروايات في صحيح مسلم[٨]، قال: «**إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلِ**» وفي رواية: «**لِشَطْرِ اللَّيْلِ**»[٨]. فإن قيل: كيف ينزل؟ نقول: نزولًا يليق بجلاله –سبحانه وتعالى–. فالنزول معروف معلوم. ولكن كيفيته مجهولة. والسؤال عنه بدعة.

الوقت الثاني: عشية عرفة، وقد جاء ذلك عند مسلم[٨] من حديث عائشة أنَّها قالت، إنَّ رسول الله ﷺ قال: « **مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**».

فقوله ﷺ: (**وأنه ليدنو**) دليل على إثبات نزوله عشية عرفة، وجاء عند ابن حبان[٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسندٍ صحيح قال: «**إِنَّ اللهَ يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ مَلَائِكَةَ أَهْلِ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي هَؤُلَاءِ جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا**».

الوقت الثالث : ليلة النصف من شعبان، كما جاء من حديث عائشة عند أحمد[٨] والترمذي[٨] «**ليلة النصف من شعبان**»، وقد قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (**لَمْ أُدْرِكْ**

---

(٨) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٨) أخرجه مسلم (٧٥٨).

(٨) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٩/ ١٦٣)، قال الشيخ الألباني في التعليقات الحسان (٦/ ٦٠): "حديث صحيح".

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٣٨).

أَحَدًا مِنْ مَشْيَخَتِنَا وَلَا فُقَهَائِنَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَلَمْ نُدْرِكْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَذْكُرُ حَدِيثَ مَكْحُولٍ) [٨]، وحديث عائشة في إثبات نزول الرب –تبارك وتعالى– في ليلة النصف من شعبان مداره على مكحول الشامي، والحديث لا يصح عند طائفة كبيرة جدًا من أهل العلم، بل أقول: جُلّ المتقدمين على تضعيف أحاديث نزول الرب –تبارك وتعالى– في ليلة النصف من شعبان، والله –سبحانه وتعالى– ينزل كل ليلة، وليلة النصف من شعبان من ضمن هذه الليالي.

والنزول هنا لتعظيم الوقت، فالأوقات والأماكن في ديننا معظمة، وربك يخلق ما يشاء ويختار، خلق الزمان، فاختار منه رمضان، واختار عشر ذي الحجة، واختار ليلة القدر، واختار الجمعة، واختار الليل، واختار ثلث الليل الآخر، هذه أوقات معظمة، كما أنَّ الأماكن كالمساجد الثلاثة معظمة. والثمرة العملية لمعرفة تعظيم المكان والزمان أن نَتَطلَّبها كلنا، فلنقتنص مثل هذه الأوقات ولنحسن استغلالها، إذ ليست الفائدة والعبرة والقيمة من طلبك للعلم ، ولا سيما علم العقيدة معرفة هذه المعلومات فحسب، وإنما العبرة والقيمة والثمرة من ذلك تحقيق الخشية لله ﷻ، واستغلال هذه الأوقات في العبادة.

وقد قال النفاة والمؤولة والمخالفون لأهل السُّنة والجماعة في هذا الباب عن صفة النزول: تنزل الرحمة، فقوله: (ينزل ربنا) عندهم يعني: تنزل رحمته، وبعضهم قال: تنزل

---

(٨) أخرجه الترمذي في سننه (٧٣٩)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢/ ٢٣٩): "حديث ضعيف".

٨) البدع لابن وضاح (٢/ ٩٢).

الملائكة. وذلك لأنَّ إثبات هذه الصفة يستلزم عندهم لوازم باطلة لا تليق في حق الله كالحركة والانتقال والحيز والفراغ وغير ذلك مما أتبعوا أنفسهم فيه بلا جدوى. فضلًا عن كونهم وأعني الأشاعرة وغيرهم لا يستدلون بأحاديث الآحاد في العقائد!.

والرد عليهم من الحديث نفسه فالنبي ﷺ قال: «**يَنْزِلُ ربنا... يقول من يدعوني**»[٨]؛ وهذه إجابةٌ دامغة على من يؤول هذه الصفة، وقد قلنا: إن الإشكال عندهم في عدم إثبات النزول، أنهم يقعون في إشكالية تخيل كيفية النزول، فيريدون يطرد هذا التخيل الشيطاني، بطريقة غير صحيحة فيُعطلون النصوص. لذلك نحن أهل السنة عندنا أصل عظيم في باب الصفات ننطلق منه وهو: إثباتٌ بلا تمثيل، نُثبت جميع الصفات ولا نشبه، نُنزهه ولكن بلا تعطيل. ننزهه عن نزولٍ يشبه نزول الخلق، ولا ننفي النزول، فنثبت النزول ونفوض الكيفية.

ولا شك أن هذه الأصول العظيمة وقعت في قلوب السلف لذلك ما سألوا عن الكيفية. ولما جاء السائل إلى مالك بن أنس إمام دار الهجرة، فقال له: كيف ينزل، أو كيف استوى؟ فقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة)[٨]، فهذه أصول نستحضرها دائمًا في جميع مسائل الصفات.

❁ **شبهة:**

(٨) أخرجه البخاري (٦٣٢١)، ومسلم (٧٥٨).

(٨) بيان تلبيس إبليس (١/ ٣٤٧)، الثمر الداني (ص١١).

تُثار على صاحب هذا المتن شبهة، وهي أنَّ ابن بطوطة الرحالة المشهور، ذكر أنه زار دمشق سنة ٧٢٦هـ في رمضان، ثم قال عن ابن تيمية: فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر[٨].

وهذا كذبٌ وافتراء على شيخ الإسلام. فأهل التاريخ من أهل السُّنة وأهل البدعة أثبتوا أنَّ شيخ الإسلام دخل السجن في شعبان سنة ٧٢٦ للهجرة وما خرج من السجن إلا ميتًا –رحمه الله–، فكيف يكون قد رأى شيخ الإسلام! وهذا من الافتراء الباطل.

❁ **ثم قال الناظم:**

١١	وَأُقِرُ بِالْمِيـزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي	***	أَرْجُـو بِأَنِّي مِنْـهُ رَيًّا أَنْهَـلُ

❁ **الشرح:**

قوله: (بِالْمِيـزَانِ): من عقيدة أهل السُّنة والجماعة إثبات الميزان. وهو ميزان حقيقيٌ له كفتان، يَنْصبه الله ﷻ يوم القيامة تُوزن فيه أعمال العباد والعباد- كما سيأتي-. خلافًا للمعتزلة بناءً منهم على أنَّ الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها.

❁ **أدلة إثبات الميزان:** قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[الأنبياء: ٤٧]. وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾[القارعة:٦]؛ وأهل البدع والضلال، يؤولون فيقولون: الميزان ليس ميزانا حقيقيًّا كما نعرفه نحن، إنما هو العدل.

٨) رحلة ابن بطوطة (١/ ٣١٧).

وقد اختَلف العلماء في الذي يُوزن: العمل، أو العامل؟، والأصح أنَّ الذي يُوزن فيه هو العَمل والعامل، والأدلة على ذلك:

❁ **الدليل الأول**: حديث أبي هريرة في الصحيحين[٨]: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ».

وهذا الحديث يدل على أن الذي يُوزن هو العمل.

❁ **الدليل الثاني**: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الترمذي[٨] بسندٍ صحيح، وهو حديث البطاقة، «فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِى كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِى كِفَّةٍ»، وهذا دليل على أن الوزن يكون للعمل.

الدليل الثالث: وحديث أبي هريرة في الصحيحين[٨]، قال ﷺ: «إِنَّه لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَومَ القِيامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَؤُوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٥]».

الدليل الرابع: عن أحمد[٨] من حديث ابن مسعود: أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ انْكَشَفَتْ ساقُه ، وكانت دقيقةً هزيلةً ، فضَحِكَ منها بعضُ الحاضِرِينَ، فقال ﷺ «مِمَّ تَضْحَكُونَ ».

---

(٨) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٨) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ١٣٩): "حديث صحيح".

(٨) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٢٠).

قَالُوا يَا نَبِيَّ الله مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ».

والجمع بين هذه الأدلة يُفضي إلى أن الوزن يكون للعمل والعامل، والقاعدة تقول: (الإعمال أولى من الإهمال، والجمع أولى من الترجيح)[٨]، أي لا نرجح حديث على حديث إن كان الجمع متيسرًا.

ونقول: أهل السُّنة يقرون كما يقر شيخ الإسلام بالميزان، وهذا يجعل العبد يعد العدة لذلك اليوم، فالأعمال ستوزن أيها العبد، فلا تحتقر عملًا صغيرًا لا تلقي له بالًا يكون فيه هلاكك يوم القيامة، فالميزان نثبته ونؤمن به.

والثمرة هنا: هل هي تعلم الرد على المخالفين؟ لا، قبل ذلك، الثمرة أن نَعدَّ العدة لذلك الميزان، فالعبد إذا تيقن واعتقد اعتقادًا جازمًا أن الحسنات والسيئات ستوزن، في ميزانٍ لا يَعْرف التطفيف، وفي يوم تَشِيب فيه مفارق الولدان، في يوم يتمنى الإنسان حسنة واحدة، فالله الله في تَثقيل الموازين يوم القيامة.

وهذه المسائل التي ذُكرت في كُتُب الاعتقاد لم يتكلم بها الله ﷻ فقط لمجرد المناقشات والمناظرات، بل لتستقيم حالنا.

قوله (وَالْحَوْضِ): من المسائل العَقَدية التي وقع فيها خلاف بين أهل السُّنة والجماعة ومخالفيهم مسألة الحوض، فأهل السُّنة والجماعة يثبتون حوض النبي ﷺ، يُسقى منه المؤمنون. خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الحوض. وإنما أنكره الخوارج والمعتزلة

٨) التقرير والتحبير (١/ ٢٠٥).

لمخالفته للعقل في زعمهم، لأنَّهم يصدرون عن أصل فاسد في باب السمعيات الخبريات التي لا تقبل العقل؛ فهم يؤولونها جميعاً، ومنها الحوض والميزان، الصراط.

❁ **أدلة الحوض**: أدلة إثبات الحوض متواترة؛ ففي السُّنة أكثر من ثلاثين حديثًا، منها عشرون حديثًا في الصحيحين.

ومن المسائل العَقَدية المتعلقة به أنَّه موجود الآن، ومخلوق الآن، لحديث عقبة في الصحيحين(٨)، قال: «**وإني لأنظر إلى حوضيَّ الآن**».

❁ **أوصافه**: أوصاف هذا الحوض كما جاءت في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في الصحيحين(٨)، قال النبي ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فمَن شَرِبَ منه فلا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

هذان الكيزانان من نهر الكوثر، وقد وقع خلاف عند أهل السُّنة والجماعة هل الحوض هو الكوثر أو لا؟ فمن العلماء من أهل السُّنة من جعلهما شيئًا واحدًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾[الكوثر:١]؛ وعند أحمد من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «**الكَوْثَرُ نَهرٌ أَعْطَانِيهِ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي الجَنَّةِ تُرَابُهُ المِسْكُ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الجُزُرِ ، أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»(٨).

---

(٨) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٨) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٦)، قال الشيخ الألباني في المشكاة (٣/ ٢٢٥): "حديث حسن".

وحوض النبي ﷺ لا يَرده إلا من كان من أتباع النبي ﷺ.

أما الذي تَنكَّب الطريق وخالف هدي النبي ﷺ فسيُطرد عن حوض النبي ﷺ.

❁ ثم قال الناظم:

١٢.	وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ	***	فَمُسَلَّمٌ نَـاجٍ وآخَـرَ مُهْمِـلُ

❁ الشرح:

يتحدث الناظم عن مسألة عقدية عظيمة وجليلة، وهي الصراط.

تعريف الصراط: جسر يضربه الله على متن جهنم، يمر عليه المؤمنون إلى جنات النعيم، والمشركون إلى جهنم، وهذا الصراط -هذا الجسر العظيم- من أكثر المسائل التي تُورث الخوف، والخشية، والقلق في نفس المؤمن، والتي تدفعه دفعًا إلى طاعة الله ﷻ.

فأهل السنة والجماعة يثبتون الصراط؛ خلافًا للمعتزلة والإباضية والزيدية الذين أنكروه؛ بناء على أصلهم الفاسد في تقديم العقل، وبأنَّ الجنة دار جزاء لا دار تكليف والمرور يقتضي تكلفيًّا ومشقة لا تنبغي للمؤمنين. وأوَّلوا النصوص المثبتة له.

❁ **أدلة إثبات الصراط:**

الدليل الأول: قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١] فقد أقسم الله ﷻ: بأن كل إنسان سيرد ويمر على الصراط، وقد فسَّر النبي ﷺ في حديث جابر عند مسلم[٨] الورود بأنَّه المرور على الصراط، وفي حديث أبي هريرة

٨) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

وأبي سعيد وغيرهم، تفسير هذه الآية هو المرور على الصراط، فأدلته كما ذكرت لكم هذه الآية.

وحديث ابن مسعود عند الترمذي[٨] في قولِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال رسولُ الله ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ البَرْقِ ثُمَّ كَالرِّيحِ ثُمَّ كَحُضْرِ الفَرَسِ ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ ثُمَّ كَمَشْيِهِ».

الدليل الثاني: حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين[٨]، قال: «قلنا يا رسولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟...» **وفيه**: «ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ القِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ

---

(٨) أخرجه الترمذي (٣١٥٩)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ١٥٩): "حديث صحيح".

(٨) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ». وهو حديث الشفاعة.

وقد جاء عن ثلاثة من الصحابة ابن مسعود وسلمان وأبي سعيد الخدري، وصف الصراط فقالوا: ((إِنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ))[٨]، ولم ترو الأحاديث مرفوعة عن النبي ﷺ، وإنما رويت موقوفة، وبما أنها تتحدث عن أمورٍ غيبية، فلها حُكم الرفع، فجماهير أهل السُّنة والجماعة على إثبات هذا الوصف للصراط، في أنه أحد من السيف، وأدق من الشعر.

ومن العلماء كالقرافي والعز بن عبد السلام، من أنكروا هذه الصفة في أن الصراط يكون أدق من الشعرة وأحد من السيف، ولكن أكثر أهل العلم على إثباتها.

ومن أوصاف الصراط: أنه مظلم، فعند مسلم[٨] من حديث عائشة قالت: «كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ اليَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ». فدل هذا الحديث على أنَّ الصراط مظلم.

---

(٨) أخرجه مسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري.

(٨) أخرجه مسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري.

فالصراط: أرضه منزلقة أحد من السيف وأدق من الشعرة، وعليه كلاليب وخطاطيف يمر عليه الناس ومرورهم ونورهم بقدر أعمالهم، كما قال النبيﷺ في حديث أبي سعيد: «مِنْهُمْ مَنْ يَمرُّونَ كَالطَّرْفِ لَحِ الْبَصَرِ، وَكَالْبَرِقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيرِ، وَكَالخَيْلِ، وَكَالرِّكَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبّوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْكض وَيَمْشِي»(٨).

فمن نجى واجتنب الكبائر وأطاع ربه في هذه الدنيا. واستقام على الصراط المستقيم في الدنيا فسينجو على ذلك الصراط، وأول من يَجُوزُه النبي ﷺ، ثم كما يقولون: تتفاوت سرعة المرور على الصراط بحسب الأعمال، فتكثروا في دار العمل حتى تنجوا على ذلك الطريق، وإياك من الذنوب والمعاصي، ولا سيما ذنوب الخلوات فأكثر ما يُهلك الإنسان ذنوب الخلوات.

فبيدك تصنع الخطاطيف والكلاليب والحَسَك التي تخطفك وتلقيك في نار جهنم، «فَنَاجٍ مُسْلِم وَمَـخْدُوشٌ مُرْسِل»؛ فمنهم من تخدشه النار لكنه مرسل أي: تتركه، ومنهم من هو «وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهنَّمَ»(٨)؛ ومن عقيدة أهل السُّنة والجماعة أنَّ المؤمنين يدخلون جهنم، ولكن لا يُخلدون فيها.

ولكن مَن له صبر على النار ومن يطيق النار؟!، فنقول: حريٌّ بنا ونحن نستحضر ونقرأ ونمر على هذه المسائل وهذه النصوص أن نَعُد العُدة لذلك الطريق، فنور الإنسان

---

(٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٨٤)، قال الشيخ الألباني في التعليقات الحسان (١٠/ ٣٨٠): "حديث صحيح".

(٨) سبق تخريجه.

عليه بقدر عمله لقول النبي ﷺ في الحديث: «فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم»[٨]؛ هذا الذي كان هكذا في هذه الدنيا، خلطوا عملًا صالحًا آخر سيئًا.

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ يكون هذا في ذاك الموقف.

وكلمة (لا إله إلا الله) عند الله –عز وجل– عظيمة تبقى معهم إلى الصراط، فهناك تنكشف الأمور، فالمنافقون والكفار في نار جهنم تنطفأ أنوارهم، ويلقون في جهنم – والعياذ بالله–، ويوم ينادي أهل الرياء والنفاق ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾[الحديد:١٣].

❁ القنطرة والأدلة عليها:

القنطرة: جسر ما بعد الصراط، وقد روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ»[٨]، والهدف منها التنقية من الشوائب، ومعلوم أنَّ القصاص في المظالم مكانه أرض المحشر، قبل الدخول إلى الجنة. ولكن قد يبقى في قلب المؤمن شيء على أخيه ولا يدخل الجنة إلا صافي القلب ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا ﴾ [الحجر:٤٧]؛ هذا النزع يكون في القنطرة.

---

(٨) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٧٦)، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٥٧): "حديث صحيح".

(٨) سبق تخريجه.

❁ ثم قال الناظم:

١٣.	وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ	***	وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

❁ الشرح:

قوله (الشَّقِيُّ): الشقي في هذه الدنيا من كان تائهًا ضائعًا لا يعرف لله حقًّا، ولا يقيم لدين الله وزنًا ولم يظهر ولم يُر أثر دينه على أفعاله وجوارحه، فهذا يكون من الأشقياء -والعياذ بالله-، يكون من حصب جهنم كما قال الله ﷻ.

قوله (التَّقِيُّ): هو المؤمن الذي جعل بينه وبين عذاب الله وقاية بِفِعْل الأوامر واجتناب النواهي، وهو الذي يدخل الجنة، بحول الله ﷻ وقوته.

❁ المسائل العَقَدية المتعلقة بالجنة والنار:

❁ المسألة الأولى: خلق الجنة والنار:

هذه المسألة ورد فيها خلاف بين أهل السُّنة وغيرهم، والصحيح أنَّ الجنة والنار عند أهل السُّنة والجماعة مخلوقتان الآن، قال الله ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[آلعمران:١٣٣]؛ فقوله: (أعدت) فعل ماض.

أما النار فقال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤]؛ والأدلة كثيرة جدًا من القرآن على أن النار والجنة مخلوقتان.

ومن السُّنة حديث الكسوف في الصحيحين[٨] من حديث ابن عباس ، قال النبي ﷺ: «وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَومِ قَطُّ أفظع، وَرَأَيْتُ الجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا» ، وفي الصحيحين[٨] أيضًا من حديث أبي هريرة ، قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ». وفي هذا دليل على أنَّ النار مخلوقة الآن.

❁ **المسألة الثانية: فناء النار:**

وقع فيها خلافٌ بين أهل السُّنة والجماعة، وبين المخالفين لهم، وبين أهل السُّنة أنفسهم، في مسألة فناء الجنة والنار، فبعد أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، هل يُخلدون، فتبقى الجنة وتبقى النار بمن فيهما، أم تفنى الجنة وتفنى النار؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الجنة والنار باقيتان، لا تفنيان، وهو قول أكثر السلف والخلف بل حكي الإجماع على ذلك[٨]. وفي هذه المسألة مصنفات، منها كتاب **رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار** للإمام الصنعاني –رحمه الله–.

القول الثاني: أن الجنة باقية، وأن النار تفنى، رُوِي هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم ، ولا يصح عنهم في ذلك شيء.

---

(٨) أخرجه البخاري (٤٣١)، ومسلم (٩٠٧).

(٨) أخرجه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦).

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٩٨)، التمهيد (٥/ ١٠)، التذكرة للقرطبي (٢/ ١٤٩).

القول الثالث: التوقف في فناء النار، أي: الجنة تبقى أما النار فلا نعلم أتبقى أم لا؟ هذا القول حُكِي عن ابن القيم، فيُفهم من كلام ابن القيم –رحمه الله– في كتاب **حادي الأرواح**، والصحيح أنَّ ابن القيم يقول بفناء نار الموحدين بعد خروجهم منها كما في **الوابل الصيب**[٨]. وأيضًا هو قول الشيخ عبدالرزاق عفيفي –رحمه الله–.

والقول الراجح: أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان، والذين ذكروا أثبتوا فناء النار، قالوا: إنه من تمام رحمة الله ﷻ أن تُفني النار، تذهب النار بمن فيها، فأجيب عن هذا القول، بأن من تمام عدل الله ﷻ في التعامل مع هؤلاء الكفار والذين استحقوا الخلود في نار جهنم أن يَبقى يُعذبهم إلى أبد الآبدين، فقد قال الله عنهم وهو العليم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٦٢]، فهذ الكافر لو بقي على قيد الحياة إلى الأبد، سيبقى على كفره للأبد فكان خلوده في نار جهنم عدلًا من الله، وحاشا لله أن يكون ظالمًا جائرًا حاشاه.

❁ ثم ختم الناظم هذه المنظومة في حديثه عن مسألة عقدية، وهي قوله:

١٤.	وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ	***	عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

❁ **الشرح**:

تناول الناظم في هذا البيت مسألة عقدية، وهي:

(٨) الوابل الصيب (ص٢٤).

۞ عذاب القبر ونعيمه:

أهل السُّنة والجماعة مجمعون على إثبات عذاب القبر، ومجمعون على إثبات نعيم القبر لأهل النعيم.

۞ **أدلة إثبات عذاب القبر**: أهل السنة والجماعة لهم في ذلك أدلة من الكتاب والسنة،

أولًا: الأدلة من القرآن: قوله ﷻ: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، ومنها قوله -تعالى- عن فرعون وآله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ﴾ [غافر:٤٦]؛ والغدو والعشي لا يكون في الجنة والنار. لذلك قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر:٤٦].

ومن الأدلة التي يستدل بها أهل السُّنة من القرآن قوله ﷻ: قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

قال الحَسَنُ البَصريُّ وقتادةُ وابنُ جُرَيجٍ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: (عذابَ الدُّنيا، وعذابَ القَبْرِ)[٨].

ثانيًا: الأدلة من السنة: أما في السُّنة فكثيرة جدًا ففي الصحيحين[٨] من حديث أبي هريرة، كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**». فهل يستعيذ النبي ﷺ من شيء غير موجود؟!

٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ٦٤٦).

وفي الصحيحين[٨] أيضًا من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما مر بقبرين قال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»؛ والأحاديث في ذلك كثيرة جدًا.

والنبي ﷺ علمنا أن نستعيذ في أدبار الصلوات وقبل السلام من عذاب القبر.

إذن نحن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأن المؤمنين ينعمون في قبورهم إلى يوم القيامة، وهذا يجعل المؤمن يشعر براحة، فالمؤمن يحزن بمفارقته الدنيا ولا شك، لذلك الملائكة تنزل على المؤمن لحظة نزع الروح، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠].

أي لا تخافوا من القابل ولا تحزنوا على الفائت، فالإنسان قد يحزن، لتعلقه بهذه الدنيا، لكن معرفته بهذه المسائل، تجعله يطمئن، يحزن على فراق أهله، لكن لما يستحضر أنه في جنات يُنعم فيها وهو في قبره يذهب حزنه، كما جاء في حديث البراء: «يُفْرَشُ فِرَاشٌ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِن رِيحِهَا وَرَوْحِهَا إِلَى يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُنَادِي رَبِّي أَقِمِ السَّاعَةَ»[٨].

فالمؤمن يُنعم في قبره، ولكن كيف يُنعم؟ هذه علمها عند الله. وكذلك الكافر والفاجر والعاصي يُعذب في قبره، كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

---

(٨) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٨) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧)، قال الشيخ الألباني في المشكاة (١/ ٣٦٨): "حديث صحيح".

والعذاب يقع على الروح والجسد، كما هو مذهب أهل السُّنة والجماعة، كما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وغيره.

۞ مسألة فتنة القبر:

وهي سؤال الملكين، فأهل السُّنة والجماعة يعتقدون أنَّ المؤمن بعد أن يُقْبَر ويسمع طرق نعال المفارقين له، والمشيعين له، يأتيه ملكان كما جاء في حديث البراء[٨]: أسودان أزرقان فيقعدانه، ويسألانه الأسئلة الثلاثة التي مدار كل علمنا عليها، من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟.

وهذه الأسئلة الثلاثة تسمَّى فتنة القبر، وأهل السُّنة والجماعة يثبتونها، ومن أهل الباطل والتأويل في زماننا ومن قبل ينفون هذه المسألة، بل وينفون عذاب القبر.

وأحاديث فتنة القبر متواترة عن أنس والبراء وأبي هريرة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

والإنسان الذي يعلم أنه مُقبلٌ على حفرة وسيُهال عليه التراب في يوم من الأيام، ويعلم -كما قال أهل العلم- أن حياة البرزخ وحياة القبر، هي صورة مصغرة لحياته في السر، فحياتك في السر، هي حياتك في البرزخ.

---

(٨) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، ولفظه: "وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ : رَبِّىَ اللهُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ فَيَقُولُ : دِينِى الإِسْلاَمُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ قَالَ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم" قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن أبو داود (١٠/٢٥٣): "حديث صحيح".

فمن كان مطيعًا لله –عز وجل– يحقق خشية الله ﷻ في الغيب قبل الشهادة، هذا الذي يُنعم في قبره، والله –تعالى– أعلم، فأكثر أسباب عذاب القبر ذنوب الخلوات. لذلك أشار شيخ الإسلام، فقال: (عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ)، وقد جاء في حديث البراء «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِى يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِى كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِىءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»[٨]، فاجتهد أن يكون قرينك قرينًا صالحًا، يقول لك: أنا صلاة الفجر، وقيام الليل، والتبكير، والأذكار والتسبيح، وبر الوالدين، وحسن الخلق، والدعوة إلى الله.

وأما الذي يعكف على الذنوب والمعاصي، وباطنه فاسد، ومتى ما خلا بنفسه أطلق البصر، والسمع، ما أن يَنفتل عن صلاته أو يخلو بنفسه، فإذا به يُطلق اللسان في أعراض المسلمين من غمزٍ ولمزٍ وطعنٍ. فمن يطلب العلم ، ويعلم أن النبي ﷺ يقول: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٨]، فيؤذي المسلمين بلسانه، فيطعن في العلماء، والدعاة، والجيران، والأهل والخلان، بلا تورع، ولا خوف ولا خشية من يوم يُوضع فيه تحت الجنادل والتراب، يوم يُقْبر فيه، يخلو بنفسه مع الملكين، ومع عمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فلا يلومن إلا نفسه.

وأحاديث عذاب القبر وفتنته ينبغي أن تنشر بين الناس، فنقرأها ونخوف أنفسنا بها، وكذلك أحاديث نعيم القبر، حتى نعزي أنفسنا ونُعلق قلوبنا بالآخرة، فنعلم أن المسألة

(٨) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٧)، قال الشيخ الألباني في المشكاة (١/ ٣٦٨): "حديث صحيح".

(٨) أخرجه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (٤١).

خطيرة جدًا، ليست مجرد قراءة متن أو تَزيُّد وذكر أقوال المخالفين، فالمسألة جنة ونار، أن تطلب العلم لتحقيق الخشية، لتنجو بين يدي الله.

❁ ومن المسائل العقدية: تسمية الملكين بمنكر ونكير:

لم ترد هذه التسمية في الصحيحين ، والذي عند الترمذي(٨) من حديث أبي هُرَيرةَ ﷺ أنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولاَنِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولاَنِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِى قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِى سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ. فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِى فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولاَنِ نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِى لاَ يُوقِظُهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. حَتَّى يَبْعَثَهُ الله مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لاَ أَدْرِى. فَيَقُولاَنِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ». وقد جاءت التسمية في سبع وأربعين حديثًا، وأثرًا، عند أحمد والترمذي وابن حبان بأسانيد جُلّها ضعيفة وبعضها حسن، ومن أهل العلم من يصححها بالجملة، فترتقي إلى درجة الحسن، وأثبت هذه التسمية الإمام أحمد وجمع من السلف.

❁ وقد ختم الناظم هذه المنظومة المباركة بكلامٍ لطيفٍ جدًا ويربطك فيه يا طالب العلم بسلفك الأوائل، فيقول لك شيخ الإسلام:

---

(٨) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، قال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/ ٧١): "حديث حسن".

١٥.	هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمالِكٍ	***	وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
١٦.	فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ	***	وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

❁ الشرح:

هذه العقيدة التي سمعتموها في هذه الأبيات، هي عقيدة السلف، هي عقيدة الأئمة الأربعة، أبو حنيفة النعمان، والشافعي محمد بن إدريس، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل.

فمن يريد أن يوقف الناس عند زمن عالم معين، فينسب نفسه إلى أبي الحسن الأشعري مثلًا أو الماتريدي، أو الجهم بن صفوان، أو غيره ممن يخالفنا في مسائل الاعتقاد، نقول له: هذه العقيدة –عقيدة السلف– هي عقيدة النبي ﷺ، عقيدة الصحابة الذين نقلوها عن نبيهم، عقيدة التابعين الذين نقلوها عن الصحابة، عقيدة الأئمة الأربعة الذين نقلوها عمن سبقهم.

وأنت يا طالب العلم حينما تدافع وتنافح في معرض البيان والرد على المخالفين عن عقيدتك علق نفسك بالأوائل، ليس عيبًا وليس تَنَقُّصًا من مشايخك، وعلمائك المعاصرين كأئمتنا دعاة الهدى في هذا الزمان من الأموات، الشيخ الألباني –رحمه الله– وابن عثيمين وابن باز، أو المعاصرين من تلاميذهم، فالأحرى عندما تنسب عقيدتك انْسِبها للأوائل، لأن المخالف لك ينتظر منك هذه. ينتظر منك قولك هذا الحديث صححه الألباني، أو هذه عقيدة الألباني، بل هذه عقيدة السلف، عقيدة أحمد والشافعي، ومالك، هذه عقيدة الصحابة والتابعين، ونحن على طريقهم كما أن الألباني –رحمه الله–

وابن تيمية وابن عبد الوهاب وابن عثيمين، وغيرهم من أئمتنا وعلمائنا على هذا الطريق.

وختامًا أسأل الله العظيم رب العرش العظيم كما وفقنا لمدارسة هذه العقيدة نسأله أن يثبتنا عليها حتى نلقاه وأن يرزقنا العلم النافع والعمل. وأن يغفر لناظمها ولوالدينا ومشايخنا وجميع المسلمين.